محمد هادي

الفداء الإسلام

دار الصادق
بيروت

الطبعة الأولى ١٣٩١ – هـ
١٩٧١ – م

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .
الرحمن الرحيم .
مالك يوم الدين .
إياك نعبد وإياك نستعين .
إهدنا الصراط المستقيم .
صراط الذين أنعمت عليهم ،
غير المغضوب عليهم ،
ولا الضالين .

ألف ..

أينَ كُنّا قبلَ ذلِك ؟

قبل أن يُخلق الواحد منا في بطن أمه ، هل كنا لا شيئاً.؟

الجواب ـ : لا .

فلم نكن أعداماً قبل أن نأتي إلى هذه الدنيا . لقد خلقنا الله تعالى في عالم يختلف تماماً ، من ناحية المقاييس ، عن عالمنا المعاصر ، وعشنا فيه لفترة غير قصيرة ، ثم أتى بنا إلى هذه الدنيا عن طريق الأمهات ، وسيعيدنا الى ذلك العالم مرة أخرى بعد الموت .

أمّا الذي جرى علينا في ذلك العالم فكان :

واحد) كشف الله لنا في ذلك العالم عن اشياء كثيرة حتى عرفناها حق المعرفة وكان من ذلك : وجود نفسه الذي أقررنا به جهاراً :

يقول القرآن الكريم :

« وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ، ذريتهم ، و « اشهدهم على انفسهم .

« [قال] ـ : ألست بربكم ؟

« قالوا ـ : بلى

« أن تقولوا (لئلا تقولوا) يوم القيامة إنا كنا عن هـــذا غافلين [1] .

إثنين) اختبرنا الله في ذلك العالم عمليـاً ، فصنع ناراً ملتهبة أمرنا بالدخول فيها ، وأطاعه بعضنا ، وخـــالفه الكثيرون ، والذي دخل في النار لم يحترق ، ولكنه كان مطيعاً بينما الذين لم يدخلوا كانوا عاصين .

والنار هذه كانت ترمز إلى المسئولية التي يتحملها كل فرد في الحياة . وصعوبة اداء هذه المسئولية لأنها تعني مخـــالفة هوى الذات. ولهذا فإن الدخول في النار من قبل المطيعين كان انتصاراً منهم على نوازع الشر في أعماقهم . بينما الاحجام عن الدخول من قبل العاصين كان سقوطاً منهم في عبادة المصالح والذاتيات .

ثلاثة) جرى في ذلك العالم الكثير من حوادث الأرض على بني الإنسان ، بحيث يمكن القول أن الكثير من الأحـداث التي نواجهها الآن هي عبارة عن « طبعة ثانية » لأحداث ذلك العالم.

---

(١) سورة الاعراف .

فالصداقات بين الأفراد تمت كلها من ذلك العالم ، فصديقي وصديقك انما تعرفنا عليه من ذلك العالم ، ولولا صداقتنا تلك لما تصادقنا معه هنا .

يقول الرسول الاعظم (ص) في حديث شهير :

« الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها (أي من الارواح في ذلك العالم) إئتلف (في الدنيا) وما تناكر منها (من الأرواح هناك) اختلف (ابتعد هنا في الدنيا) »

وهذا العالم يحمل أسم « عالم الذّر » إنسجاماً مع مقاييسه التي كانت « ذرّية » من ناحية الكثافة ، ومن ناحية الزمن المضوي . فالناس كانوا فيه على شكل الذّر ، ولكنهم كانوا يملكون كافة المشاعر العقلية والفكرية والنفسية .

وهنا يبرز سؤال هو — : لماذا صنع الله عالم الذر ، وما هي الضرورة التي تدعو إلى ذلك . ؟

والجواب — : ان الضرورة التي كانت تدعو إلى صنع « عالم الذّر » هي ضرورة العيش هنا في الدنيا اولاً — وضرورة توفر جو أختياري فيها ثانياً .

فنحن نعرف أن الانسان لا يستطيع أن يعيش حياة إنسانية

إلا على مجموعة من القضايا الوجدانية . لأن الانسان يحتاج إلى أخيه الانسان ، ولا يمكن له أن يعيش في عزلة ، والعيش مع « أخيه الانسان » لا يمكن أن يتم إلا مع « الاتفاق » ، والاتفاق لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان الطرفان يحدان أساساً له . وهذا الاساس هو : « الوجدانيات » التي هي عبارة عن مجموعة معارف تتفق عليها الطبيعة البشرية من دون فرق بين أجناسها ، وفئاتها ، وقومياتها . وقد تطبع بها الناس من « عالم الذر » بدليل أن الانسان الافريقي ذي المناخ الساخن ، والثقافة المعدومة ، يتفق فيها مع الامريكي ذي المناخ المثلج ، والثقافة الراقية ، بالرغم من أن احدهما لم يلتق بالآخر ولم يتحدث معه بهذا الشأن . فمن أين تعرفا عليها ؟ وكيف اتفقا عليها . ؟

إن ما يسمى بـ « الوجدان الديني » أو « الضمير » إنما زرع فينا من « عالم الذر » وذلك عن طريق كشف الحقائق لنا ، كشفاً كاملاً فيه .

ولكن : نسينا نحن « عالم الذر » وما جرى فيه من حوادث ، وبقيت آثارها عالقة في اذهاننا ، تماماً كما قد ينسى الانسان حفلاً معيناً ، ولكن تبقى القضايا التي طرحت فيه عالقة في ذاكرته .

وهكذا : فان القضايا التي نسميها فطرية ووجدانية إنما حملناها معنا من العالم الذي تركناه ورائنا .

ولأن هذه القضايا حملناها من عالم الذر ، لذلك فاننا لا نتعلم في الدنيا أية قضية وجدانية ، وإنما نتذكر القضايا الوجدانيـــة حسب ما عرفناها في عالم الذر .

فنحن « نتذكر » أكثر ممـــا « نتعلم » . حتى أن أحدث نظريات « المعرفة » يقول ان ما يتعلمه الاطفال في المدرسة ليست غريبة عنهم اطلاقاً ، لأنهم في الواقع يعرفون كل مـا يتعلمونه ، ولكنهم ناسوه ، وفي المدرسة فقط يتذكرونه .

وتشبه المدرسة بالنسبة إلى الاطفال – من هذه الجهة – آلة التسجيل بالنسبة إلى الشريط الممتلىء ، فالمسجل ، حين استعمال الشريط عليه لا يتكلم ، انما فقط يكشف عن الكلام النائم على صفحات الشريط ، وهكذا فإن المعلم الذي يقوم بتعليم الطفل ، لا يعلمه وإنما فقط يكشف عن معلومات الطفل ، وبعبارة أخرى يضع الشريط الوجداني للطفل على المسجل .

ومن هنا أعتبر « الانبياء » مذكّرين للانسان لا معلمين له .

يقول القرآن الكريم مخاطباً الرسول الاعظم ، « فذكر أن نفعت الذكرى » ، « إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » .

فالانبياء إنما جاءوا – كما يقول الامام علي (ع) – « ليثيروا للناس دفائن العقول ، وليذكّروهم منسيّ نعمته تعالى » .

★

أما الأدلة على « عالم الذر » فيمكن تلخيصها كالتالي :

أ ـ تمر بالانسان بين فترة وأخرى حالات معينة يتذكر خلالها بمروره بالوضع الفعلي قبل ذلك. فكثيراً ما نجلس في مجلس خاص ويجري فيه حديث معين مع اشخاص معينين ، فنتذكر كأننا نعيد ذلك المجلس للمرة الثانية ، وأنه يتكرر علينا بوصفه الخاص وأحاديثه الخاصة ، ومع نفس الاشخاص . مع العلم أن كل ذلك يحدث لاول مرة في حياتنا الدنيا .

وكثيراً ما نرى شخصاً معيناً لأول مرة ، فنظن ظناً صادقاً أننا نعرفه معرفة كاملة ، وأننا قد التقينا به قبل ذلك ، مع أن لقاءنا به يحدث للمرة الاولى ، وهذا يعني أننا قد مررنا به فعلاً والتقينا به في عالم الذر .

ب ـ كثيراً ما يسمع الانسان « حكمة معينة » أو مطلباً معيناً ، فيجد كأنه كان يعرف ذلك من ذي قبل وربما يتعجب كيف أنه لم يتذكره طوال تلك المدة .

ج ـ في العديد من مناطق العالم وجد اطفال ذكروا أنهم يعرفون مدناً لم يروهـــا في حياتهم ، وقد ثبتت صحة ادعائهم بالحقائق والارقام .

وليس هناك أي تفسير لهذه الظاهرة التي لم يعد بالامكان

انكارها ، إلا الاعتقاد بمرور هؤلاء الاطفال بما يشبه تلك المدن في عالم الذر .

د ـ إن الانسان إذا سمع شيئاً ما ، أو مر بمنطقة ما يظل يتذكره لفترة طويلة ، وإذا نسيه فلن ينساه للأبد ، وإنما يبقى في ذهنه موجوداً بشكل سري ، قد يظهر في فكره عندما يتكرر عليه ذلك الشيء أو تلك المنطقة ، وهـــذه العملية التي نسميها عملية « الحفظ » لم تكن ممكنة إلا بعد وجود آثار لها مسبقاً في ذهن الانسان ، لان مجرد مرور الانسان بحادث خاص أو سماعه لمعلومات خاصة ليس كافياً لحفظ تلك المعلومات أو تذكر ذلك الحادث . بدليل أن الحيوان كثيراً ما يمر باشياء مماثلة ولا يستطيع حفظها ، لانه ـ على عكس الانسان ـ لا يجد لها أي أثر مسبق في وجدانه .

★

وهنا ينتصب سؤال يقول ـ : إذا كان الله قد خلقنا في عالم الذر ، وامتحننا هناك ، فكان منا المطيع ، ومنا العاصي ، فلماذا إذن أجاء بنا إلى عالم الدنيا ؟

والجواب ـ : إن الذي لا شك فيه هو أن وجود الانسان الفعلي ليس إلا طريقاً إلى وجوده في عالم آخر هو عالم الآخرة

وفيه توجد السعادة التي لا يمكن تصورها ، ولكنها سعادة لا يفوز بها إلا من يستحقها، ويبرهن على استحقاقها بالعمل والفعل، وليس بالكلام فقط .

ولكي يبرهن الانسان على هذا الاستحقاق ، خلقه الله في عالم الذر . ويبدو أن رحمة الله الواسعة أبت إلا أن تمنح الإنسان أكبر الفرص للفوز بالسعادة الأبدية ، ولذلك فقد كرر له، ضمن حياتين تختلفان من ناحية المقاييس ، فرص البرهنة على إستحقاق السعادة الأبدية ، وذلك لقطع الطريق على أية اعذار قد يقدمها الفاشلون أمام الله .

ومن أجل هذا كان عمر الفرص المتاحة ، في كل من عالم الذر وعالم الدنيا ، طويلاً يمتد لعشرات السنين ، وليس قصيراً لا يتجاوز اللحظات .

وينتصب هنا سؤال ثان هو – : كيف نسي الإنسان عالم الذر وحوادثها المختلفة؟

والجواب – : أولاً – ليس من الصحيح الادعاء بأن جميع الأفراد قد نسوا ذلك العالم فهناك كثيرون لا يزالون يذكرونه لحظة بلحظة وفصلاً بفصل ، مثل الانبياء والأئمة ، وهم الذين أخبرونا به .

أما الذين لا يذكرون منه شيئاً فهم ايضاً يتذكرون بين آونة وأخرى بعض جوانبه ـ كما ذكرنا ـ والجميع يحملون آثاره .

ثانياً ـ نسيان الأكثرية لحوادث عالم الذر يرجع في الواقع إلى اختلاف نوعية مقاييس عالمنا الحالي مع نوعية مقاييس عالم الذر. واختلاف المقاييس هو بصورة دائمة من عوامل النسيان ؛ بدليل أن كل انسان يمر بفترة يكون خلالها جنيناً في بطن أمه سواءاً كان على صورة خلية واحدة أم خلايا عديدة ولكنه كان مع ذلك ينسى تلك الفترة ، وما يعقبها من حياة الطفولة الأولى ، بعد الدخول إلى عالم الدنيا وبلوغه سن الرشد .

وبدليل أن كل انسان يرى في النوم أحلاماً كثيرة ، ولكنه ينساها في اليقظة ، لأن مقاييس حالة النوم تختلف عن مقاييس حالة اليقظة ، ولهذا فنحن لا نتذكر إلا ١٠٪ فقط من أحلامنا [١] .

وعلى أي حال ، فان قصة وجودنا في عالم الذر ستنكشف لنا عندما نرجع مرة ثانية إلى مقاييس ذلك العالم ، بالموت « فالناس نيام إذا ماتوا انتبهوا » كما جاء في الحديث .

---

(١) جاء في نص علمي : « من الثابت أن كل الناس يحلمون كل ليلة أثناء نومهم ، وأن الأحداث التي نشاهدها في الحلم تحتاج الى نفس المدة التي تحتاجها في اليقظة » ـ الأسبوع العربي العدد ٥١١ ـ ١٩٦٩ .

والموت من هذه الجهة، مثل اليقظة بعد حلم طويل، يكشف للانسان عن واقعه الذي طالما غفل عنه . فكما أن الانسان في حالة الحلم قد لا يتذكر شيئاً عن واقعه ، لأنه إذ ذاك مغرور بحلمه ، وقد يكون إذا قيل له ـ : انك حالم وأن ما تشاهده ليس إلا لعب ولهو . وأنك ستعود إلى حالتك الأولى ، فانه لا يصدق . واليقظة كفيلة بكشف الحقيقة له . كذلك الانسان في الحياة الدنيا ، إنه يعيش مثل حالة الاحلام ، ولكنها أحلام يملك فيها الانسان كامل مشاعره، ووراثها مسؤليات وعواقب ، فاذا مات وعاد إلى مقاييس « عالم الذر » عند ذاك فقط سيتنبه إلى واقعه . وقد يندم الكثيرون ، ولكن المشكلة أن الإنسان إذا مات لا يستطيع الرجوع ـ بأي شكل من الأشكال ـ إلى الدنيا مرة أخرى. فلا نستطيع أن نجرّب مرة ونستفيد من تجاربنا مرة أخرى .

★

والخلاصة :

إن حياة الإنسان في الدنيا ، هي حياة متوسطة بين حياة عالم الذر ، وحياة عالم الآخرة، وهي آخر فرصة متاحة للانسان لكي يتمسك بمنهاج الله ويبرهن بذلك على استحقاقه للسعادة الأبدية في الآخرة .

باب ..

هل من إله ؟

من عالم النور حملنا معنا « الإيمان بالله » .

ولهذا فإن الجميع – رغم إختلاف الثقافات – يجد في أعماقه بذور هذا الإيمان الذي مهما حاول الإنسان القضاء عليه فإنه في الأخير يكشف عن نفسه في مظهر من المظاهر .

لأنّ أيّ أنسان يجد :

أولاً – إن كل موجود لا بدّ له من موجد ، وكل مصنوع لابدّ له من صانع . فالكتاب الذي بين يديك لا يمكن أن لا يكون له مؤلف ولا طابع ولا ناشر ، فلو فرضتَ أنْ لا مؤلف للكتاب فلا بدّ أن تفرض أن لا وجود له ، بدليل أنك لا تستطيع أن تفرض كتاباً بلا مؤلف إلا إذا فرضت أنه غير موجود إلا في الوهم ، إذ بمجرد أن تفرض له وجوداً خارجياً فلا بدّ أن تفرض له مؤلفاً خارجياً كذلك .

وإذا كان كتاب بسيط لا يحتاج إلى أكثر من توصيف الكلمات المفهومة ، غير ممكن الحدوث إلا عن طريق مؤلف قادر ،

فكيف يمكن للعالم كله أن يكون قد وجد بلا خالق ؟

إنّ كلاً من « العالم » و« الكتاب » موجود فلا بد أن يكون لكل منهما موجِـد ، ولا يمكن أن تقول ان الكتاب يحتاج إلى مؤلف ، أما الكون فلا يحتاج إلى خالق؛ لأنه لو جاز أن يكون الكون العظيم بلا خالق ، فلا بد أن يجوز أن يكون الكتاب البسيط بلا مؤلف ايضاً .

— : فهل نستطيع أن نؤمن بوجود كتاب لا مؤلف له ؟

— : طبعاً لا .

— : لماذا ؟ لأنّ الكتاب لم يكن موجوداً قبل مدة ، وهذا يعني أن شخصاً مـــا قد أوجده . وإذا كان الكون ايضاً غير موجود قبل مدة، ونحن نراه موجوداً الآن فلا بدّ أن نؤمن أنّ خالقاً أوجده من اللاشيء .

وها هي البحوث العلمية تؤكد أنّ الكون بداية وتحدّد هذه البداية بما قبل ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ عاماً . وبهـــذا تثبت تلقائياً وجود الله تعالى لأن كل شيء ذي بداية يحتاج إلى « موجد » .

اننا إذا نظرنا إلى أصغر بناء وسألنا أنفسنا السؤال التالي:

— : هل هذا البناء بُني من غير بنائين؟ فإن الجواب سيكون

حتما – : لا . ان البناء لا بدّ له من بنائين .

فشعورنا الفطري بأن لكل موجود موجد، ولكل بنـــاء بانٍ ، هو الذي يحملنا على أن لهذا الكون الذي هو على أقـل التقادير مجرد بناء ضخم موجداً حكيما هو الله سبحانه .

*

ثانياً – إن كل واحد منا إذا راجع نفسه يجد أنه موجود ، وأنه كان في وقت ما غير موجود، هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟ .. فأنا وأنت لم نكن موجودين في زمن اجدادنا ، فمن الذي خلقنا ؟

هل اننا خلقنا أنفسنا ؟

أم خلقنا آباءنا ؟

أم خلقنا الله ؟

١ – لا شك اننا لا نستطيع أن ندّعي أننا خلقنا بلاخالق، إذ لو لم يكن لنـا خالق لم نكن موجودين ، والمفروض أن كل واحد منا يعرف أنه موجود .

٢ – ولا شك اننا لم نخلق انفسنا ، أولاً – لأن كل واحد منا يعرف أن غيره هو الذي خلقه . ثانياً – لأننا لم نكن موجودين

في فترة من الزمن وهذا يعني أننا لم نكن غلـــك وجوداً .. فكيف إذن أعطينا الوجود لأنفسنا مع العلم « أن فاقد الشيء لا يعطيه »

يقول الله تعالى :

« أم خلقوا من غير شيء ؟

« أم هم الخالقون ؟

« أم خلقوا السماوات والأرض [1] ؟

٣ – وآبائنا لا يمكن ان ندعي أنهم خلقونا ، لأن آبائنا لا يعرفون أي شيء من اعضائنا واجزائنـــا فكيف ندعي أنهم خلقونا ؟ كيف يمكن أن لا يعرف صانع السيارة اجزائهـــا ، وكيفية تركيبها ؟

ثم إذا كان الآباء هم الخالقين ، فكيف يموتون؟ لماذا لايعطون الوجود لانفسهم ؟

إن الأب ليس في الواقع إلا واسطة للخلق ، وليس خالقـاً تماماً كما أن العامل الذي يشغّل مصنعاً للسيارات ليس أكثر من واسطة لنقل تيار الكهرباء إلى الاجزاء والاجهزة ، وليس خالقاً .

---

(١) سورة الطور ـ ٣٥

بالاضافة إلى أن الأب لو كان هو الخالق فان لنا أن نتساءل: من خلق الأب ؟

نقول – : اباه . ونتساءل – : ومن خلق أباه ؟ نقول – : جده ونتساءل – : ومن خلق جده ؟ وهكذا إلى أن ينتهي الأمر إلى الأب الاول او الانسان الاول الذي لا يمكن أن نفترض له أباً .

وهنا .. لا بدّ من الايمان بالله .

★

ثالثاً – إنّ كل واحد منا لا بد أن يمر بلحظات قاسية يرى خلالها الله بقلبه وعقله وضميره ، بحيث لا يستطيع – وإن حاول – التشكيك في وجوده .

لنتصور أنفسنا راكبين في السفينة ، وفجأة تهب رياح عاصفة ونحن وسط البحر ، فتثير الامواج بشكل تؤدي إلى تحطم السفينة أو تقاذفها بين الامواج . ولنتصور أننا لا نملك زوارق نجاة في هذه الحالة ، فما الذي سنحس به عند ذاك ؟

فجأة نجد انفسنا تحت رحمة قدرة غيبية عليا ، نؤمن ايماناً قلبياً صادقاً بقدرتها على انقاذنا من الموت .

وهذه القدرة هي قدرة الله ، التي تكشف عن نفسها بين

الحين والحين بحيث لا تدع للشخص مجالاً للشك والترديد .

سئل الامام الصادق (ع) مرة عن الله فأجاب :

ـ : يا عبدالله هل ركبت السفينة ؟

أجاب ـ : بلى .

قال الامام ـ : فهل كسرت بك ، حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك ؟

اجاب ـ : بلى .

قال الامام ـ : فهل تعلق قلبك هناك أنّ شيئاً من الاشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك ؟

اجاب ـ : بلى .

قال الامام ـ : فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حين لا منجي ، وعلى الاغاثة حيث لا مغيث .

والمشكلة التي يعاني منها الافراد ، هنا هي انهم بعد أن يكشف لهم الله عن نفسه في لحظات الالم ، ينسونه بسهولة بمجرد ان تعود اليهم حالتهم الطبيعية .

يقول القرآن الكريم :

« هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في

« الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بهـــا جاءتها
« ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنـوا
« أنهم أحيط بهم .. دعوا الله مخلصين له الدين لإن
« أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين .
« فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق !
« يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم ، متاع الحياة الدنيا
« ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون (١) .

★

رابعاً – اننا نجد انّ الحيوانات والاشجار تقوم بأعمـــال رائعة يعجز عن القيام بها حتى الانسان . ولا يمكن تفسير ذلك إلا بوجود يد هادية حكيمة لأنّ الحيوانات والأشجار لا تتمتع بالفكر والعقل ، وما دام أعمالها مشحونة بآثار التعقل والفهم فلا بد ان يكون ذلك من الله تعالى .

وهاك بعض الأمثلة على اعمال الحيوانات الخارقة

١

الكتكوت – المفكر

ما ان تجد البيضة الحرارة الكافية حتى تتحول إلى «معمل». حيث تجري فيها عمليات واسعة ، بعضها كيماوية وبعضها انتقالية ،

---

(١) سورة يونس – ٢٢ – ٢٣ .

وبمرور الزمن يتكون داخل « الصفار » الخلايا التي تتحول أخيراً إلى الفرخ ـ الكتكوت . وداخل قشرة البيضة يجد الكتكوت كل المواد والاطعمة اللازمة له حتى يستطيع الخروج من القمقم ، حينما يطلع له في اليوم الحادي والعشرين عادة قرن صغير على منتهى منقاره، وباستعماله كوسيلة لكسر جدار القشرة، عندأضعف اجزائها يطلع الكتكوت من داخل البيضة كجندي منتصر يبحث عن الغنيمة . ثم يختفي القرن إلى غير رجعة !

ترى من يعطي الكتكوت هذا القرن المؤقت ؟ ومن يعلمه كيف يستعمل ومتى ؟ هل هناك تفسير آخر لعمل الكتكوت البارع هذا غير وجود الله ؟

٢

الطيران من اجل الماء

هناك بعض الأشجار الصحراوية لا تستطيع أن تعيش إلا على حافة بركة ماء ، ولأن بركات المياه معرضة دائماً للجفاف فقد زود الله هذه الأشجار ببذور مجنحة لتطير فيها إذا جفت مياه بركة ماء الأم . وتقطع آلاف الأميال من الصحارى الجرد لتجد فرصها القليلة في الماء .

ترى من أعطى هذه الأشجار القدرة على انتاج بذور مجنحة تطير إلى منابع المياه ، وهي ليست سوى بذور ؟

٣

الحشرات : وافراز المواد الكيماوية

بعض الحشرات تستعمل طريقة افراز المواد الكيماوية للتفاهم فيما بينها. حيث يقوم الواحد منها بنشر مواد كيماوية فيفهمها الثاني ويقوم بتصرف معين ، أو يتخذ موقفاً معيناً .

فالنحل مثلاً يقوم بافراز مواد معينة في الهواء فيتلقاه الآخر عن طريق اللمس للدلالة على مكان معين كتحديد مركز للاكل بحيث لو تنتقل احدى عاملات « النحل » إلى حقل تكاثر فيه الازهار فانها تضع على بعض هذه الازهار ، أو تنشر في الهواء كمية من المواد الكيماوية . وتصل رائحتها إلى بقية العاملات فيتركن الخلية ويتوجهن إلى المصدر .

ترى من أعطى النحل هذه المواد ؟ ومن علمه كيفية ، ووقت استعمالها ؟

٤

العثة تستعمل التلكس

تقول بعض البحوث ان بعض الحيوانات تتمتع بقوة « الاشراق » فلو أنت وضعت حشرة « العثة » وهي حشرة مجنحة ، على نافذة مفتوحة ، فستحدث صوتاً يسمعها زوجها على مسافة بعيدة جداً ولسوف يجيبها هذا الزوج أيضاً بطريقته .

وهناك نوع خاص من هذه الحشرات يدعى « الجندب » يحك رجليه وجناحه ويصوت بطريق غير عادية . ويسمع على

مبعدة ثلاثة آلاف متر تقريباً ، وهو يحرك في هذه العملية ستائة طن من الهواء ليدعو زوجته ، والزوجة ترسل أيضاً ، وهي ساكنة بلا حراك ، جواباً لا نعرفه نحـــن ولكن يعرفه الذكر ، الذي يلحق بها أينما كانت بعد اتمام هذه المراسلة التلسكية .

من .. ترى علم هذين الزوجين هذه الطريقة غير المادية لتبادل رسائل الحب ، بحيث لا يستطيع العدو مهما كان شرساً التقاطها وفك رموزها ؟

٥

التخفي عن طريق تغيير اللون :

هناك حيوانات تعيش في أوساط مختلفة ، وتتعرض نتيجة ذلك لمحاولات صيدها من قبل الحيوانات الأخرى ، ونظراً لأنها لا تملك أية وسيلة فعالة للدفاع عن النفس ، فقد زودت بجهـــاز خاص لتغيير اللون بشكل سريع مما يساعد على إخفائها بسرعة .

وعملية تغيير اللون هذه تحدث عن طريق خلايا دقيقة تقع تحت الجلد مباشرة وتسمى « حاملات اللون » وهي مملوءة بصبغ أسود ، أو أصفر ، أو أحمر .

فحشرات « الحرباء » و « النطاط » تغير ألوانها بسرعة فائقة حسب لون المحيط ، فتغير لونها لكي يتلائم مع الوسط . ونظراً لأن الكثير منها يعيش على الأشجار والشجيرات فأغلب وسائلها

للتخفي تتمثل في تقليد الأوراق والاغصان وقلف الاشجار . وقد يكون التخفي دقيقاً جداً في بعض الأمثلة حتى أنه يحتاج إلى فحص دقيق للكشف عن الحشرة التي من غرائزها أن تظل ساكنة تماماً إلا في حالة المشي الحقيقي أو التغذية .

وطريقة التخفي في حالات التعرض للهجوم من قبل الأعداء نوع من الاستراتيجية الجديدة التي تمارسها الجيوش اليوم بعد مرور قرون عديدة على اشعال الحروب وخوضها من قبل الانسان فمن ترى علم تلك الحشرات قبل ملايين السنوات اتباع هذه الطريقة للتخلص من الأعداء ؟

٦

دودة القز وتغيير الجنسية :

دودة القز هي أول كائن يقوم بتغيير هويته الخاصة من دودة إلى حشرة ، فهي تنسلخ من ثوبها مرة بعد مرة ، ثم تنزوي في ركن لتبني لنفسها شرنقة من حرير تنام فيها ليال طويلة ، مثل أهل الكهف ، ثم تخرج منها فراشة بيضاء جميلة ..

هذا الانتقال المنظم الدقيق من نمط من الخليقة إلى نمط آخر .. وهذا التطور من دودة إلى حشرة الذي يتم بلا مختبرات ولا عمليات جراحية ولا ما شابه ذلك من يقوم به ؟

إن الدودة لا تعرف هي لماذا ؟ وكيف ؟ تتحول إلى فراشة فهي إذن ليست ذات إرادة في ذلك ، وإنما هناك « مَن » يقوم بذلك .

وهذا الا ٔمن ، ليس بالطبع إلا الله ، العليم القدير ..

٧

الاسفنج : الحيوان المتجدد دائما :

« الاسفنج » حيوان بحري يتعرض في كل لحظة لعملية تمزيق ولكنه بالرغم من ذلك .. لا يموت .

فهو عندما تمزقه الدوامات البحرية والأسماك المتوحشة يتحول إلى ألف قطعة وقطعة ، ولكن ما تلبث كل قطعة فيه حتى تسبح مع الماء وتنمو أسفنجاً جديداً كاملاً .

وأنت لا تستطيع أن تتصور إلى أي مدى يستطيع حيوان الاسفنج أن يتحمل التمزيق ، ولكن أحد اساتذة علم الحيوان قام باجراء تجربة بديعـــة ، مزق فيها الأسفنج فتافيت صغيرة بابرة ، ثم سحقه بمطرقة ، ثم طحنه ، وهرسه ، وعصره في قماش دقيق الثقوب ، ثقوبه أدق من ثقوب المنخل ، ومن النخالة التي سقطت بعد هذا التمزيق والهرس والطحن الرهيب استطـــاع الاسفنج أن يتخلق من جديد .. من كل نقطـة .. ومن كل ذرة وينمو إلى صورته السوية ، وكأنه لم يحدث أي شيء !

ترى من أعطى لحيوان ضعيف الجثة ، عـديم السلاح قدرة التخلق .. والتخلق .. والتخلق بلا كلل ؟

إنك إذا سمعت أن مهندساً استطـاع أن يصنع منديلاً من البلاستيك ، لا يتعرض للتمزيق إلا ويتحول إلى منديل كامل من

جديد .. فانك ستعتبره من أقدر ، وأفهم ، وأذكى المهندسين الذين عرفهم التاريخ ، إذ كيف يمكن للمنديل أن يرجع منديلاً؟ إن العملية ليست سهلة ..

إذن فكيف يمكن أن لا نعترف بعلم ، وقـــدرة من صنع الأسفنج مع أن الفرق بين الاسفنج والمنديل ليس ضئيلاً ؟

٨

الحشرات : براهين الله أيضا ..

قديماً قال الشاعر .

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه .. واحدُ

لاحظ .. ما هو أضعف كائن يدب على الارض ؟

– : انه بالطبع « الحشرة » . هذا الحيوان العجيب الذي يقف الانسان بكل عظمته وجبروته خاشعاً أمام أعماله الخارقة المعجزة ..

ان الانسان لا يستطيع ان يتكيف الا على الطعام الذي ينسجم معه ، ولكن الحشرات قادرة على التكيف على اي طعام موجود ..

وان الأنسان يخلف كل سنة ما لا يزيد على ثلاثة أولاد . ولكن بعض الحشرات يزيد انتاجها السنوي من « الاولاد » على عشرين ألف مليارد ..

أليس كل ذلك دليلا على قدرة الخالق ؟

اننا قد ندهش اذا سمعنا أن العلم يصنع نوعاً من اللحم من البترول ، ونعتبر ذلك من أبرز الادلة على تقدم البشرية وقدرتها ، وفهمها ، ولكننا نجـــد ان بعض الحشرات وهي التي تسمي بـ « ذبابة البترول » اكتشفت « لحم » البترول وأخذت تستفيد منه قبل آلاف السنوات ..

وأننا قد ندهش إذا سمعنا أن ساحراً يبلـع الرصاص ، بينما نجد أن « خنفساء الدائرة الكهربائية » تعيش كل حياتهـــا على الاستفادة من أسلاك الرصاص .

وبالاضافة إلى ذلك ، فإن الحشرات تتحرك ، كما تتحرك عربة مصفحة ، تحيط بجسمها الرقيق صفائح من مادة كالصلب إسمها « الكيتين » تقاوم فعـــل جميع المهلكات الكيميائية وهي تسلح نفسها بحراب وخناجر واشواك .. !

وبعضهم يسلح نفسه بحويصلة من السم متصلة بابرة حامية يطعن بها أي عدو يقترب منه فيشله أولاً ، ثم يلتهمه .. !

وبعضها يطلق غازات كريهة ليطرد أعدائه ، وذلك مثل حشرة « قاذفة القنابل » التي تتمخطر أمام الحيوانات المفترسة دون خوف ، حـــتى إذا فتح الحيوان الغازي فمه ، ضغطت الحشرة على كيس داخل بطنها فيمتزج في لحظة افرازات ثلاث

غدد ، ويؤدي اختلاط تلك الافرازات إلى تفاعل شديد وخروج غاز لاسع كريه الرائحة فيفر الحيوان المفترس رعباً ..

وبعض الحشرات يحفر لنفسه ـ كجندي في ساحة القتال ـ الخنادق والمخابىء المحصنة . !

وبعضها يحاكي الزنابير اللاسعة ، فيفر منها « الغزاة » من دون أن يكون لها سم . !

وكل حشرة تعيش في أكثر من بيئة خلال حياتها، فاليعوضة العادية مثلا ، تعيش في مرحلة الدودة والشرنقة ، في المستنقعات ، وفي مرحلة الحشرة الكاملة تعيش في الحدائق ويتغذى ذكورها على رحيق الزهر ، وأناثها على دم .. الإنسان!

والحشرات تسمع وتحس وتشم وترى أحياناً عن طريق قرون الاستشعار أو الوبر الخفيف الموجود على جسمها وأعجب من ذلك .. أن الحشرات تخطط للمستقبل ، من دون أن تعرف عن هذا المستقبل شيئاً . فحشرة « إبي دقيق » تختار أوراق الكرنب لتبيض عليها مع أنها لا تتغذى على الكرنب ، ولاتحتاج له ، وإنما صغارها التي هي ديدان صغيرة ، هي التي لا تأكل سوى الكرنب ، فيجب أن تبيض حشرة « إبي دقيق » على ورق الكرنب ليجد الصغار ما يأكلونه ، ومع هذا فإن حشرة « إبي دقيق » لا تعرف إطلاقاً هذه المسألة .. بل انها لا تعرف الصغار التي تفقس عن بيضها ، فلا تعرف أن هذه الديدان ابناؤها ..

و « زنبور الطين » . يخطط للمستقبل أيضا فهو يصطاد « الدودة » . ثم يبيض عليها بيضة واحـــدة ثم يضعها في العش ويمضي باحثاً عن حصاة حتى إذا وجدها حملها بين ذراعيه ، وأغلق باب العش .. وعندما تفقس البيضة تجد اليرقة الصغيرة طعامها جاهزاً بين يديها ..

ترى كيف أدرك الزنبور هذه الحاجة المستقبلة فخطط لها ؟

وكيف عرف ان الدودة طعام صحي لصغارها ؟

ان الحشرات لم تتلق أي تعليم في جامعات الطب والهندسة ، ولا تملك أية عقول الكترونية كاشفة المستقبل ، ومع ذلك فهي تخطط وتعمل وكأنها تعرف كل شيء .

فمن علمها ذلك ؟ وهي لا تعرف أي شيء ؟

١٠

النملة والتفكير المصيري

هذه النملة الصغيرة الـــتي تعمل في أغلب مناطق الأرض ، وتعمل بصمت واخلاص . وبالرغم مما تتعرض له من عمليات الابادة الجماعية من قبل الانسان ، تشكل هي الاخرى مع باقي مخلوقات الارض ، دليلاً صارخاً على وجود الله .

فهي برغم « لطافة هيئتها وصغر جثتها بحيث لا تكاد ترى بلحظ البصر » تنقل الحبوب إلى منازل تختارها بدراسة واممان

وتعدها في مستقرها . وتجمع - كما قال الامام علي (ع) - في حرها لبردها ، وفي ورودها لصدورها » .

ثم هي تقوم بتقسيم الحبوب إلى نصفين في محاولة لمنع تخضرها ونموها لان ذلك يشكل تهديداً لحبتها الصغير .

فمن ترى علم هذه « الزميلة » الصغيرة كل هذا التخطيط ؟ يقول الإمام (ع) :

« ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته [لو
« فكرت بعمق ودراية بقصى ما تستطيع] مـــا
« دلتك الدلالة الا على ان فاطر [خالق] النملة
« هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شيء ، وغامض
« اختلاف كل حي .

« وما الجليل [الكبير] واللطيف ، والثقيـــل
« والخفيف ، والقوي والضعيف في خلقه [تعالى]
« إلا سواء [1] .

١١
النبات . العمل الفنّان

عندما يضع الإنسان بذرة في الأرض ، فإنها تقوم بثلاث

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٧٧

عمليات، فأولاً – تشد موقفها في التراب . وثانياً – تخرج سيقاناً تمتد من باطن الارض باتجاه السماء ، وثالثاً – تمتد جذورها نازلة في أعماق الأرض .

لانها من دون تركيز نفسها لا تستطيع أن تتحمل السيقان ، ومن دون ان تمد سيقانها باتجاه السماء لا تستطيع ان تمتص الهواء ونور الشمس ، ومن دون أن تمد جذورها في أعماق الأرض لا تستطيع ان تمتص ما فيها من الأملاح والماء .

ولكن إذا سألت النبات نفسه عن الداعي إلى مد الجذور ، ورفع السيقان ، فانه لا يستطيع بالطبع ان يجيبك على ذلك ، فهو لا يحس بشيء .

ترى من علم النبات ان في السماء يوجد الهواء ؟ ومن علمها ان في الأرض توجد الاملاح والماء ؟

ان الانسان وهو قمة الكائنات الحية لا يستطيع أن يعرف آبار البترول . ومصادر الاشعة الكونية ، وهما من مصادر رزقه وحياته الا بعد القيام بعمليات تنقيب واسعة في الارض أو في السماء ، فمن علم النبات مكان مصادر رزقه من دون ان يتكلف التنقيب والبحث ؟

إن الذي يجري في اجسام النباتات ، فيه من التعقل والتدبر ومن العلم والفن ما لو وكل أمره إلى النبات نفسه ، أو حتى

أعظم المباقرة لعجزعن القيام بها، ومن ثم لفسدت هذه الاجسام. من الذي يجري فيها من أحداث وأعمال وما تكمله من انجازات هي أعمق وأكبر من أن يستطيع العقل البشري القيام بهـا ، فكيف يمكن أن يقوم بها النبات ، وهو مجرد نبات لا يعقل ولا يفهم؟

إن المزهرية عندما توضع في حجرة يدخل عليها ضوء الشمس من خلال جانب خاص ، فان النبات سيميل حتمـاً بأوراقه ناحية ضوء الشمس .

ترى : من علّم النبات علم الكيمياء الذي يقول : « ان الشمس مصدر الحياة فوق هذه الأرض » ؟

إن العلم الحديث اكتشف بعد طول بحث بعض ما يفعلـه النبات وبذلك اكتشف أن هناك يداً هادية عليا تحمل النبات على القيام بأعماله تلك ، ذلك لأن النبات لا يفهم شيئاً فمن علمـه مثلاً أن « الجلوكوز » الذي يصنعه النبات من « ثاني أوكسيد الكربون » والماء يحتاج إلى تخليق، وأن التخليق لا يتم إلا بضوء الشمس ؟

ان العلم الحديث : يكشف عن حساسية النبات للاشعـة الشمسية بحيث أنه يستجيب بالميل نحو الأشعة ، حتى ولو بلغت من حيث الضعف جزءاً من ألف جزء من القمر في حالة كونه بدراً .

ان العلم الحديث يكشف عن علاقة النبات والشمس والأرض فيقوم بتفسير ظاهرة التمثيل الضوئي ، وتفسير ظاهرة الانتباه الضوئي ، وتفسير ظاهرة الانتباه الأرضي (وهو توجه الساق إلى أعلى رغم جاذبية الأرض) ، وبذلك يكشف عن حقيقة هامة هي : ان من غير المعقول أن تتم كل هذه الأعمال التي يحتاج مجرد معرفتها إلى دراسة عدة سنوات في علم النبات وعلم الكيمياء وعلم طبقات الأرض ، إلا عن طريق قدرة حكيمة عليمة لأن النبات لا يعرف العمل الذي يقوم به ، تماماً كما أن المعمل لا يعرف العمل الذي يقوم به ، وإنما الذي وراء «المعمل» هو صاحب الفكر كما أن الذي وراء النبات هو صاحب الارادة في عمل النبات .

١٢

الورق يعمل في كل الظروف :

إذا طلب من المهندسين أن يصنعوا قطعة معقدة من آلة يُعتمد عليها في جميع الظروف والحالات . بحيث تستطيع أن تعمل في العراء تحت أشعة الشمس ، والبرد والثلوج ، فانهم سيعتذرون عن ذلك لأن الأمر صعب للغاية .

ولو استطاع المهندسون أن يصنعوا ذلك لاعتبروا عملهم هذا معجزة من المعاجز ، ودليلاً على قدرة العلم الحديث وتقدمه الفائق .

إذن : فمن هو الذي صنع ورقة النبات الرقيقة ، بكل ما

فيها من دقة ومناعة ضد الظروف المتناقضة ؟

إن ورقة النبات نوع من الآليات التي تبقى مكشوفة في العراء وتعمل تحت جميع أنواع الطقس . فهي العضو الذي يؤدي وظيفتين حيويتين للنبات وهما: التغذية ، والتنفس. وبناء عليه فانه يلزم للجزء الداخلي منها والذي يعمل بنشاط أن يتصل بالهواء الخارجي اتصالاً لا يعوقه شيء ، ويتطلب في الورقة أن تكون — في نفس الوقت — قادرة على تحمل الساعات الطوال في الشمس الساطعة الحارة دون أن تفقد الكثير من الماء عن طريق البخر ، فهي يجب أن تكون مانعة للمطر من النفاذ بدرجة تكفي لمنع السكرات الذائبة التي تحويها من التخفيف الزائد أو من أن يكتسحها ماء المطر ، كما أن الورقة يجب أن تكون قوية بدرجة تقيها لفحات الرياح العاصفة .

ورغم أن الورقة بالغة الرقة والتفلطح ، إلا أنها في الواقع تركيب معقد من الخلايا والانسجة يغلفه جلد علوي وآخر سفلي وفي الجلد ، وخاصة جلد السطح السفلي توجد ثقوب صغيرة عديدة يمكنها أن تنفتح وتنغلق تبعاً للظروف ، فحينما يتوفر للنبات الكثير من الماء تنفتح الثقوب ، وحينما يصبح الجو جافاً تنغلق كل الثقوب ، وتمر الغازات التي تعتبر أساسية لحياة النبات خلال هذه الثقوب .

ففي النهار يخرج بخار الماء والاوكسيجين من الثقوب بينما

يدخل ثاني اوكسيد الكربون ، وفي الليل يخرج بخار الماء وثاني اوكسيد الكربون ويدخل الاوكسيجين اللازم لتنفس النبات وانفتاح الثقوب التي تسمى بالثغور وانغلاقها، يعتبران ضروريين لحياة النبات لانهما ينظمان معدل دخول الغازات، خصوصاً بخار الماء إلى الورقة والخروج منها .

وإذا لاحظنا الورقة من الداخل فاننا سنجد أنها تتكون من الاجزاء الآتية :

١ - السويق ، أو العنق ، وهو الساق الذي يوصل الورقة بالنبات ، والذي ينقل الماء والمحاليل الغذائية من النبات واليه ، وبالاضافة إلى الأنابيب الدقيقة التي تمر فيها هذه الوسائل ، فان عنق الورقه يحوي اليافاً قوية تمنعها من التمزق عند تعرضها لهبوب الرياح العاصفة ، ويستمر امتداد العنق عادة في الورقة على هيئة عرق وسطى . وتسمى الورقة التي ليس لها مثل هذا السويق بالورقة الجالسة .

٢ — النصل وهو الأسم الذي يطلق على الجزء المفلطح من الورقة والذي يظهر تركيبه الداخلي تحت المجهر ، ويكون النصل سميكا جلدياً في النباتات دائمة الخضرة التي يجب أن تتحمل أوراقها قسوة الشتاء مثل ورقة « البرتقال » و « النارنج »

٣ العروق . يتكون العرق الوسطي والعروق الأخرى في الورقة جزئياً من حزم من الأنابيب الدقيقة ، وجزئياً من

الألياف ، وتتكون في المجموع كله شبكة تتصل بالساق وتحمل الأنابيب الماء ومحاليل السكرات والأملاح فيما بين الورقة وباقي النباتات بينما تكسب الألياف من الورقة متانتها وقوتها .

كل هذا .. من صنعه في الورقة البسيطة ظاهرياً ؟

١٣

أجسامنا : من يديرها ؟

إذا استطاع أحد أن يدعي أن النباتات تعرف ما تفعل ، وأن ما تقوم به من عمليات كيماوية تابع من فكر وعقل وفهم ، ترى هل يستطيع أحد أن يدعي أنه هو الذي يقوم بإدارة جسمه ؟

تصوّر جسمك : هذا الذي تعمل فيه عشرات الملايين من الاجهزة المختلفة ، هل تديره انت ؟ هل أنت تحرّك قلبك ؟هل هل أنت تدير الدورة الدموية ؟ هل أنت تدفع الكبد إلى العمل؟ هل الخلايا تقوم بأعمالها حسب ارادتك وقدرتك ؟

ان الكثيرين منا قد لا يعرف موضع كبده ، أو لا يعرف ان له رئتين أو أعصاباً أو خلايا ... فكيف اذن يمكن الادعاء بأننا نحن الذين ندير اجسامنا ؟

واذا لم نكن نحن الذين ندير أجسامنا فمن الذي يديرها ؟

هل القلب هو الذي يشغّل نفسه ؟

هل الكبد هو الذي يدفع نفسه بتعقل وتفهم الى القيام

بخمسمائة عملية كيميائية في وقت واحد ؟

ثم من الذي يقول للجسد : قف عن العمل .. عند الموت ؟

★

خامساً — إنّ الحياة ليست ساكنة . ولو كانت ساكنة لكان من الممكن أن يدعي بعض السذج البسطاء انها ليست مخلوقة لاحد . ولكن مادامت في حركة دائمة كان من المستحيل أن تكون غير خاضعة لارادة خالق .

ان الساعة التي تعمل ضمن ابعاد محددة على الزمن لا تعمل الاّ بعد أن يملأها الانسان ... ولا يمكن ادعاء ان حركتها ليست نتيجة تحرك ، حتى الساعات الاوتوماتيكية انما تعمل ما دامت متعلقة بيد متحركة ، فاذا انفصلت عن اليد ، فانها ستتوقف عن العمل بعد وقت قصير .

اذن : فلا بد أن يكون للحياة المحركة بشكل دائم ، خالق يضفي عليها الحركة ، ويأخذها عندما يريد .

★

لقد سُئلت امرأة بدوية كانت تغزل في مغزل بسيط عن دليلهـــا على وجود الله ، فتوقفت عن تحريك مقبض المغزل وقالت — : دليلي هو توقف المغزل .

وعندما قالوا — : وكيف ذلك ؟

أجابت ـ : إذا كان مغزل بسيط لا يتحرك الا بوجـــود محرّك فهل يمكن أن يتحرك الفلك الدوار بلا محرّك ؟

يقول الله تعالى :

« ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار
« والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل
« الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها ،
« وبث فيهـا من كل دابّة وتصريف الرياح والسحاب
« المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون[1].

★

سادساً ـ إذا لم نؤمن بالله . فلا بـد أن نؤمن بأن الصدفة العمياء التي لا تجد له أي تفسير معقول هي الـــتي خلقتنا . أي بدل أن نؤمن بان عالماً حكيماً قادراً هو الذي خلقنا ، نؤمن بأن جاهلاً عاجزاً أعمى هو الذي خلق الانسان واعطاه الفهم والقدرة والعقل ؟

وهذا يشبه إلى حد بعيد ان يكفر الواحد منا بأن للسيارة ذات الموديل ٧٢ ـ مصنعاً متقناً ينتجها ، ويؤمن بدل ذلك بأن حماراً وحشياً في غابات أفريقيا هو الذي يصنعها . او أن يكفر الواحد منا بأن الطعام اللذيذ الذي يجده على المائدة من

---

(١) سورة البقرة ـ ١٦٤ .

صنع طباخ ماهر ، ويؤمن بدل ذلك بأن « قطة » البيت هي التي صنعته .

ثم .. ما هي الصدفة ؟

يقولون ـ : انك وجدت هكذا صدفة . والكون كله وجد صدفة . ثم وجد الانسان صدفة . ووجدت فيه الغرائز صدفة . وبحث عن الزوجة صدفة . ووجدت في هذه الاثناء فتاة قريبة منه صدفة . وتزوجها صدفة . وانعقدت عندها النطفة صدفة . وتناسل الزوجان صدفة . فتزوج ابوك من أمك صدفة . وخلقت أنت أيضاً صدفة . وبدأت تأكل الطعام صدفة . ونمت جوارحك صدفة . ودخلت المدرسة صدفة . وتعلمت القراءة والكتابة صدفة أو اشتريت هذا الكتاب صدفة . وجلست تطالعه صدفة ، والكتاب هو الآخر قد الف صدفة . والمطبعة التي طبعته وجدت صدفة ، والعامل رتب الحروف صدفة . والورق جاء الى المطبعة صدفة . ووضع إسمي على الغلاف صدفة .. صدفة في صدفة في صدفة ..

هل يقبل العقل ذلك .؟

إذا كان كل شيء في الحياة يسير حسب الصدفة فلماذا يعاقب المجرمون ؟ ليفترضوا أن الصدفة هي التي جرتهم إلى ارتكاب الجرائم ؟

ولماذا يكرمون العلماء والمخترعين ؟ ليفترضوا أن العلم

حصل عندهم صدفة.. وأن أعمالهم جاءت صدفة. وانهم اكتشفوا ما اكتشفوا صدفة .. هل يمكن .؟

ثم أن هذه الصدفة التي تبدو كشاردة غير منتظرة وغير خاضعة لأية طريقة من طرق الحساب والبحث العلمي ، تخالف تماماً كل العلوم الرياضية .

لنفترض أن معك كيساً تحتوي على مائة قطعة خشبية تسع وتسعون منها سوداء وواحدة بيضاء والآن هزّ الكيس، واسحب منه واحدة. أن فرصة أن تسحب القطعة البيضاء في المرة الأولى هي بنسبة واحد إلى مائة . والآن أعد قطع الخشب إلى الكيس وابدأ السحب من جديد : انّ فرصة سحب القطعة البيضاء لا تزال بنسبة واحد إلى مائة، غير أن فرصة سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين هي بنسبة واحد إلى عشرة آلاف ١٪ ١٠٠٠٠

والان جرّب مرة ثالثة : ان فرصة سحب تلك القطعة البيضاء ثلاث مرات متوالية هي بنسبة مائة إلى عشرة آلاف ، أي بنسبة واحد إلى المليون .

ثم جرّب مرّة أخرى أو مرتين تصبح الارقام فلكية ، اي بنسبة واحد إلى أربعة «ترليونات » يعني ان تعيش أيها القارىء العزيز مدة خمسين الف سنة تعد الارقام ليلاً ونهاراً بشكل تعد في كل دقيقة ١٥٠ – عدداً من دون ان تنتهي !

فهل تقبل الان ان كل شيء رتب في السموات والارض صدفة ؟

ان كل شيء في الحياة يبدو أنه قد وضع في محله الخاص بحيث لو غيرت مكان اي جزء من جزيئات أصغر ذرة ، أو أصغر جينة لتبدل الشيء الكثير . وهذا يعني ان كل شيء في الحياة له هدف معين وليس صدفة . وواضح أن اللاشيء والفراغ – كما تعنيها الصدفه – ليسا أحياء ، والميت – فكيف باللاشيء – لا يمكن ان يحمل هدفاً .

وإذا كان كل جزيء من جزيئات الكون ذو هدف محدد فهل يمكن أن يكون الكون كله بلا أهداف .

ان من الغريب حقا : ان يؤمن البعض بصدفية الكون بالرغم من كل آثار التعقل الموجودة فيه ، ولكنه عندما يواجه أصغر شيء يقوم بالبحث عن أسباب وجوده في مكانه الخاص . وهذا يعني انه عملياً مؤمن بهدفية خلق الكون في الاجزاء ، ولكنه نظرياً يؤمن بلا هدفية خلق الكون في مجموعه .

أن الطبيب الملحد قد يحرق عمره كله وهو يبحث في علة وجود غدة صغيرة معينة في مكان ما من جسم الانسان ، وهذا يعني انه يرفض الايمان بالصدفة في أبسط الاشياء ، بدليل انه يظل يبحث وينقب حتى يكتشف أهداف وجود الغدة ولا يقبل

أن يؤمن بأنها وجدت عن طريق الصدفة .

فكيف اذن يؤمن بالصدفة في خلق الكون كله ؟

★

سابعاً — ان الطبيعة تنمو عادة نحو البقاء لولا ارادة الله التي تفرض عليها الموت .

إذ لو لم تكن هناك إرادة عليا تفرض عليها الموت بقي كل شيء حسب الطبيعة على حاله .

فالشجرة التي تنمو في الحقل لا داعي إلى ان تموت لو قلنا انها وجدت على ظهر الارض بنفسها .

والجبل الذي يحثو على صدر السهل التراب يجب أن لا يتغير خلال الاعوام والسنين ، وحتى البيت الذي نحن نبنيه يلزم ان لا يتهدم ، وأن مرت عليه ملايين السنوات .

فالموجود يجب ان يبقى موجوداً .

والمعدوم يجب أن يبقى معدوماً .

وكما ان تبدل « اللا شيء » إلى « شيء » لا يمكن ان يتم الا عن طريق خالق ، كذلك فان تبدّل « الشيء » إلى «اللاشيء» لا يمكن ان يتم إلا عن طريق الخالق .

وهكذا يكون الموت أحد الأدلة على وجود الله كما أن الحياة هي الأخرى دليل عليه .

يقول الله تعالى :

« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير .
« الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن
« عملاً وهو العزيز الغفور [1] .

---

(١) سورة الملك ١ - ٢

قال ..

آللَّـهُ .. وَاحِـد؟

عرفنا أن للكون خالقاً ، ولكن هل الخالق واحد أم أكثر من واحد ؟

والجواب — : اننا عندما نلاحظ تكوين المجموعة الشمسية نجد أن الشمس تقع في مركز المجموعة بحيث تقع بقية الكواكب في الاطراف وتدور حول الشمس ضمن مدارات خاصة ، ونجد بين الشمس وكواكب المجموعة فراغات محددة .

وعندما نلاحظ تكوين « الذرة » التي تتألف منها أشياء الكون نجد انها تتكون من « كهربائية موجبة » تسمى « البروتونات » تقع في مركز الذرة . ومن « كهربائية سالبة » تسمى « الكترونات » تقع في الاطراف وتدور حول النواة بسرعة ٢٠٠٠ — كيلو متر في الثانية الواحدة . ونجد أن بين مركز الذرة « النواة » وبين الالكترونات فراغات محددة ..

وبالمقارنة بين الذرة والمجموعة الشمسية نلاحظ أن نسبة مسافة البعد بين نواة الذرة والالكترونات إلى قطر الذرة تساوي بالضبط نسبة مسافة البعد بين الشمس والارض إلى قطر المجموعة

الشمسية . ونلاحظ أيضاً أن نسبة وزن نواة الذرة إلى وزن مجموع الذرة تساوي نسبة وزن الشمس إلى وزن المجموعة الشمسية ؛ إذ أن كلاً من وزني الذرة والشمس يساوي ٩٩,٩ ٪ من وزن مجموعها .

وهكذا نجد أن الذرة تشبه من حيث التكوين ، والمسافة ، والوزن المجموعة الشمسية . مع حفظ النسبة طبعاً .

وهذا التشابه بين أصغر الكائنات وأكبرها يدل بوضوح على ان خالق الذرة هو خالق المنظومة الشمسية ، إذ لو كان هناك إلهان خالقان ، لكان قد وقع الاختلاف بين مخلوقاتهما . يقول القرآن الكريم : إن إلهكم لواحد ★ رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق [1]

هذا ومن ناحية اخرى : فإننا نجد رابطاً كونياً بين كل القوانين الحاكمة ، فالجاذبية كقانون ، تنسجم تمام الانسجام مع التوازن السطحي ، كقانون كذلك ، وكلاهما ينسجمان مع القوانين الأخرى . وهذا يدل بوضوح على وحدة الخالق تماماً كما أن ترابط اجهزة « السيارة » وانسجام بعضها مع بعض دليل على وحدة المصنع الذي ينتجها .

وواضح أن قضية الترابط ليست خاصة بالأرض وحدها وانما تلف العالم كله ؛ فقوانين الارض تنسجم ولا شك مع قوانين

---

(١) سورة الصافات . ٣

الشمس، وقوانين الشمس تنسجم مع قوانين الكرات الأخرى. وهكذا الأمر بالنسبة إلى المنظومات والمجرات والمدن النجومية .. الخ .

يقول القرآن الكريم :

« .. الذي خلق سبع سماوات طباقاً ، ما ترى
« في خلق الرحمن من تفاوت . فارجع البصر هل
« ترى من فطور ؟

هل هناك لا انسجام بين القوانين الحاكمة على الحياة ؟

« ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر
« خاسئاً وهو حسير (١)

كرر الملاحظة ، تجد مخلوقات الله كلها تارفع عن الاختلال، بينما لو كان هناك إله آخر لانعدم الترابط ومن ثم وقع الاختلال.

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (٢)

ان اختلالاً بسيطاً في نظام الذرة يكفي لتدمير مدينة كاملة بدليل ما تفعله « القنابل الذرية » من تدمير وخراب عن طريق إحداث اختلال في حركة الالكترونات، وهذا يعني أن الكون

---

(١) سورة الملك ٣ - ٤
(٢) سورة الانبياء - ٢٢

كله يخضع لنظام واحد ، ولا يمكن ذلك الا إذا كان الذي فرضه واحداً أحداً .

يقول القرآن الكريم :

امن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ،
ومن يرزقكم من السماوات والأرض ؟
« ءأله مع الله .؟
« قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

★

وبالاضافة الى ذلك فاننا لا نجد أي داع إلى الايمان بتعدد الآلهة ما دام لم نجد أي أثر لغير الله . مع أنه لو كان هناك إله آخر لعرفناه بآثاره وملائكته وكتبه ورسله .

إذا كان في المدينة رئيسان للبلدية ، فلا بد أن يعرف الناس بسهولة وجود شخصين يحكمان قضايا المدينة العمرانية وذلك لسبب ما يقع بين الرئيسين من اختلاف حول كيفية تنظيم الشئون البلدية .

فالآثار التي تترتب على وجود رئيسين للبلدية لا بد أن تكشف عن رئيسين مستقلين في إدارة المدينة .

وهكذا لو فكرنا في أمر هذا الكون فإننا حينما لا نشاهد فيه مخلوقات وآثار تنسب لغير الله تعالى ندرك أن الله واحد لا شريك له ، لأنه لو كان له شريك لعرفناه عن طريق مخلوقات خاصة تنسب اليه ، وآثار معينة تدل عليه . وحيث لم يكن في الكون من المخلوقات ما تنسب إلى غير الله ، ولم يكن فيه من الآثار ما تدل على غير الله ، ندرك أن الله واحد لا شريك له .

يقول الإمام علي (ع) في وصيته للامام الحسن (ع) :

« واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك
« رسله ورأيت آثار ملكه ، ولعرفت أفعاله
« وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف
« نفسه [1]

ويقول القرآن الكريم :

« ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه إله .
« إذن .. لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم
« على بعض . سبحان الله عما يصفون [2]

★

---

(١) نهج البلاغة ج - ٣ ص ٤٤
(٢) سورة المؤمنين - ٩١

وهنا يبرز سؤال — : ماذا يترتب على الايمان بوحدة الله ؟

والجواب — : الذي يترتب هو لزوم الخضوع المطلق له . إذ لو كان هناك إله آخـــر غير الله . لأمكن أن يفكر العاصي بالعصيان على أساس أنه يستطيع اللجوء إلى الاله الآخر ، ولكن ما دام هناك إله واحد ، الأرض جميعاً قبضته ، والمعاد في الأخير اليه ، فان على الانسان أن يضع في حسابه كلما هم بارتكاب المعصية أن لا ملجأ من الله إلا اليه ، وأنه ، لا يمكن الفرار من حكومته ،

يقول الامام علي (ع) في وصيته للامام الحسن (ع) :

« .. لا يضاده في ملكه أحد ، ولا يزول ابداً ، ولم
« يزل . أول قبل الأشياء بلا أولية (فهو أول الاشياء
« باعتبار أنه كان قبلها ، ولكن لا ابتداء له) وآخر
« بعد الأشياء بلا نهاية . عظم عن أن تثبت ربوبيتـــه
« باحاطة قلب أو بصر .

« فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في
« صغر خطره ، وقلة مقدرته ، وكثرة عجزه ، وعظيم
« حاجته إلى ربه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته ،
« والشفقة من سخطه ، فإنه لم يأمرك إلا بحسن ، ولم ينهك
« إلا عن قبيح [1] .

---

(١) نهج البلاغة ج - ٣ ص - ٤٤

ثانی ۰۰

صِفَاتُ اللّٰہ ۔۔!

— : لماذا لا نستطيع أن نرى الله ؟

— : الواقع : أن اعضاء الانسان محدودة بوظائف معينة لا تستطيع أن تتعداها ، وهذه « الوظائف المعينة » لم توضع من قبل الإنسان ، وإنما فرضت عليه فرضاً .

فالعين لها وظيفة محددة هي الرؤية، ولذلك فانها لا تستطيع أن تسمع الأصوات. والاذن لها وظيفة معينة هي سماع الأصوات، ولذلك فانها لا تستطيع أن ترى الأشياء . واللمس هو الآخر له وظيفة محددة هي الاحساس بالشيء ، ولذلك فانه لا يستطيع أن يرى الأشياء أو أن يسمع الاصوات .

وهكذا فإن كل عضو في الإنسان محدد بحدوده الخاصة التي لا يمكن التعدي عنها ، وهي في ذلك تشبه قطع الغيار التي تتركب منها السيارة . فالفرامل مثلاً لا تستطيع أن تقوم بوظيفة المقود، والعجلات لا تستطيع أن تقوم بوظيفة الفرامل.. وهكذا .

إذن : فكما أن أجزاء السيارة لا تستطيع ان تتعدى الحدود التي حددها صانعها ، كذلك الإنسان لا يستطيع أن يتعدى بأعضائه الحدود التي حددها خالقه ، فلذلك نحن لا نستطيع ان نرى الله ، أو نلمسه لان الله أكبر من ان يرى أو يلمس .

ولكن : هذا لا يعني ان الله غير موجود . تماما كما أننا لا نستطيع ان نرى أو نلمس أو حتى نسمع الأمواج والأشعة الكونية لان قدراتنا عاجزة عن ذلك بسبب اختلاف المقاييس، مع أنه لاسبيل لانكارها .

ان الله ليس « مادة » لنطالب بتطبيق مقاييس المادة على وجوده . وانما هو خالق المادة والماديات ، وكلها أدلة بارزة عليه .

★

نرى كيف هو الله ؟ وأين ؟

لقد طرح هذا السؤال على الامام أمير المؤمنين (ع) فقال ـ

« لا يكيف بكيف ، ولا يؤين بأين !

فالله لا يمكن ان يدخل في تحديد ، فقط نستطيع أن ننفي عنه العجز ، والموت ، والجهل .. الخ لانه ـ تعالى يختلف من

حيث الصفات عن الأشياء الأخرى ، فهو « عـــين الصفات » وليس خارجاً عنها ، أي أنه ليس لله ذات ، وصفات طارئة عليه كما هو في الانسان والحيوان .

فهو : العدل المطلق ، والقدرة المطلقة ، والكمال المطلق .

أنه « أحد » فليس له ثاني .

وهو « صمد » فليس عاجزاً عما يريد .

وهو « لم يلد ولم يولد » فليس الخلق ـ كما تقول بعض النظريات الزائفة ـ صادراً منه كما يصدر النور من المصباح .

وهو عالم . وقادر . وحي . ومريد . ومدرك . وقديم . وأزلي . ولكن ليس بالمعنى الذي قد يتبادر إلى أذهاننا من هذه الكلمات ، وانما بمعنى ان الله لا يتصف بالصفات المضادة لهذه الصفات فإذا قلنا « الله عالم » فلا نعني « العالم » الذي يتجدد في ذهننا وانما نعني انه ليس جاهـــلاً . وهكذا إذا قلنا الله « قادر » فاننا نعني انه ليس عاجزاً .

صحيح ان الله عالم .. ولكننا لا نستطيع أن نفهم كيفية علمه الا بأنه ليس جاهلاً .

ذلك لان كل مقاييسنا زائفة إذا استعملناها في الله لأن مقاييسنا نابعة من ذواتنا ، فإذا كانت ذواتنا محدودة فان هذه المقاييس تكون حتماً محدودة ، بينما الله غير محدود .

ان الله ـ كما يقول الإمام علي (ع) ـ « لم يطلع العقول على تحديد صفته » ولكنه ايضاً « لم يحجبها عن واجب معرفته » فهو « الذي تشهد له اعلام الوجود ».

فلا تشوب الله أية شائبة للمادة ولا يمكن تحديده بأية صفات . فقط يمكن التعرف عليه من خلال مخلوقاته ومن هنا كان « كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف انه غير الصفة » .

ان صفات البشر انما تتحقق باضافتها إلى الأشياء فانا عالم بمعنى ان علمي قد وقع على شيء ما فأصبح ذلك الشيء معلوماً لي وأنا قادر بمعنى أن بامكاني أن أفعل ما أريد بالنسبة إلى الأمر المقدور لي .

ولكن صفات الله باعتبارها عين ذاته تتحقق بنفسها ولا تحتاج إلى اضافتها إلى شيء . فالله عالم لا بمعنى ان هناك معلوماً لأن علم الله ازلي ، وليس طارئاً فهو « عالم إذ لا معلوم » و « قادر إذ لا مقدور » ، ـ كما يقول الامام علي (ع) ـ .

ان الله « دال على وجوده بخلقه » و « بمحدث خلقه » على ازليته » و « باشتباههم على ان لا شبه له » . فما دام هناك موجود فلا بد ان يكون له « موجد » وما دام هناك « حادث» فلا بد ان يكون له « محدث أزلي » وما دام هناك تشابه بين

الخلق فلا بد أن لا يكون شبه للخالق . لأنه ما دام هناك نقص فلا بد أن يكون إلى جنبه « كال » تماماً كما ان البيت الناقص دليل على وجود بيت كامل. والحرارة دليل على وجود البرودة، والضد دليل على الضد .

هكذا تقول فطرة الانسان . فإذا رأينا أن كل انسان ناقص . في قدرته ، وفي حكمته ، وفي حياته ، وفي عدله ، وفي غناه فلا بد أن يكون خالقه — تعالى — كاملاً في القدرة والحكمة والعدل والغنى .

ولكن كيف . ؟

لا نعرف .

كما لا نعرف الأشياء التي نعيشها . حتى الكتاب الذي بين يديك لا تستطيع أن تعرفه .

قد تقول — : اعرف الكتاب ؛ انه ورق وحبر ..

حسناً ، فما هو الورق ؟

تقول — : انه ذرات .

فما هي الذرة ؟

تقول — : الكترونات .

ولكن ما هو الالكترون ؟

لا تعرف .

ليس هذا فقط ، فحتى أمورنا التي نمارسها يومياً لا نعرفها فنحن نفكر ، ولكن ما هو الفكر ؟

ونحن نمشي . ولكن ما هو العمل العضلي ؟

لا أحد يعرف ذلك .

ان الارادة ، هي غير مادية ، وان خصائص النفس غير مادية ومع ذلك فمتى اراد الانسان فإن ارادته تحرك اجزائه المادية ، فكيف يحدث ذلك ؟

ما هو الوسيط الذي يتوسط بين القوى العقلية ، وبين النتائج المادية ؟

لا يوجد من يستطيع ان يجيب على هذا . .

وحتى اعمالنا المادية هي غير مفهومة لنا . مثلاً نحن نرى الأشياء عن طريق العين ، ولكن كيف ينقل العصب البصري صور الأشياء إلى العقل ؟ . ثم كيف يدرك العقل هذا ؟ . وأين مستقره ؟. وما هي طبيعة العمل العقلي ؟ .

لا نعرف .

وإذا لم نستطع ان نعرف انفسنا ، وذواتنا ، وروحنا التي بين جنبنا ، فكيف نريد أن نعرف كنه الله بمقاييسنا وعقولنا الناقصة ؟

يقول الامام علي (ع) وهو يصف الله :

« لا تستلمه المشاعر . ولا تحجبه السواتر لافتراق
« الصانع والمصنوع ، والحاد والمحدود ، والرب
« والمربوب . الأحد لا بتأويل عدد ، والخالق لا
« بمعنى حركة ونصب [تعب] ، والسميع لا باداة ،
« والبصير لا بتفريق آلة [تفريق الاجفان
« وتحريكها] ، والشاهد لا بمماسة ، والبائن لا بتراخي
« مسافة [بعد المسافة] ، والظاهر لا برؤية ،
« والباطن لا بلطافة [والخفي لا بسبب كونه
« دقيقاً] .

« بان من الاشياء [وامتاز منها] بالقهر لها ،
« وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه .
« من وصفه فقد حده [جعل له حداً] ومن حده
« فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزله .
« ومن قال ـ : كيف ؟ فقد استوصفه .
« ومن قال ـ : أين ؟ فقد حيزه [جعل له مكاناً
« معيناً] [1]

ويقول أيضاً :

« لا تدركه الحواس فتمسه ، ولا تلمسه الأيدي

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٠٠ .

« فتمسه . ولا يتغير بحال ، ولا يتبدل بالأحوال ،
« ولا تبليه الليالي والأيام ، ولا يغيره الضياء والظلام ،
« ولا يوصف بشيء من الأجزاء ، ولا بالجوارح
« والأعضاء ، ولا يقال له حدولانهاية ، ولا انقطاع
« ولا غاية ، ليس في الاشياء بوالج [داخل] ولا
« عنها بخارج . يقول لمن اراد كونه ـ : كن
« فيكون ، لا بصوت يقرع ، ولا بنداء يسمع ،
« وانما كلامه فعل منه [1]

هذا هو الله الذي نعبده . ليس مادة ، ولا تشبهه مادة وهو معلوم بآثاره ، ولا يمكن معرفته بـــذاته وصفاته لان قدرة الانسان أعجز من ذلك .

---

(١) المصدر ص ـ ١٢٢

جيم ٥٥

العِبَادة.. مَاذا تعْني؟

عبادة الله لا تعني مجرد الركوع والسجود له . فكم هم الذين ينحنون أمام الله وهم في الواقع ، يعبدون الشيطان ؟

ان العبادة التي يريدها منا الخالق ـ المنزه عن المادة ـ تعني الخضوع المطلق له في كل شيء ابتداءاً من العقيدة ، وانتهاءاً بالسلوك والعمل والنظام .

ويخطأ أولئك الذين يفترضون ان الله سيكتفي منهم بالركوع والسجود إذا كانوا لا يعبدون الله في منهاجه الذي رسمه لهم في الحياة .

ان عبادة الله شرف عظيم لا يسعد به إلا من رفض عبادة الماديات الزائلة والمصالح الذاتية . وهي لا تتم إلا باتقاء الله كما قال الإمام علي (ع) .

« ... اتق الله كأنك تراه ، فان كنت لا تراه فانه « يراك .

أي ان نتصور وجوده عند اتخاذ أي قرار ، وعند القيام

بأية خطوة . نتقيه في سلوكنا. وفي فكرنا ، وفي نظامنا نتصور اننا نراه ، فان كنا لا نراه ، فعلينا ان نتقيه أيضاً لانه يرانا حتماً .

ولا يعني التقوى هنا الخوف منه ، وانما يعني الخوف من مخالفته . ويعني التمسك بعبادته . والقيام بعبادته .

ولكن كيف ؟

قبل ان نجيب على ذلك لا بد أن نتذكر الحقائق التالية :

واحد) ان الله عندما خلق الانسان لم يتركه سدى وإنما وضع له منهاجاً شاملا في الحياة ، وهو المنهاج الذي لو أخذ به الانسان لم يجد أية حفرة للشقاء في طريقه .

وهذا المنهاج يشمل :

أ – خرائط للسلوك الشخصي

ب – خرائط للنظام الاجتماعي

ج – خرائط للنظام العام .

بالاضافة إلى مجموعة مبادىء واقعية عن الكون والحياة تعتبر كأرضية لتلك الخرائط .

فليس الدين مجرد طقوس شكلية ، ولا عدة أمور سلبية ، ولا مجموعة قضايا فكرية .

ان الدين هو الطريقة الافضل للحياة ، ولذلك فانه منهاج عملي ، وفلسفة فكرية في وقت واحد .

إثنين) إن الدنيا بالنسبة إلى الإنسان محطة متوسطة بين عالمي ، الذر ، والآخرة . وعلى الانسان ان لا ينسى حقيقة « مرحلية بنائة » على وجه الأرض .لانه حينئذ سيخسر مصيره ، وخسران المصير هو في الواقع خسران للحاضر أيضاً ، لان قيمة الحاضر تتحدد من خلال مدى ما يسفر من نتائج .

فإذا كان مصير الإنسان إلى الموت ، ومن ثمّ مواجهة الله فلا بد ان يضع ذلك في حسابه لدى الاقدام على أي عمل .

والطريق لتذكر المصير هو أن يفكر الأنسان في الذين كانوا قبله ، وماتوا ، على أساس أنه « لو دامت لغيرك ما وصلت اليك » .

وكما يقول الامام علي (ع) - :

« أحي قلبك بالموعظة ، وذلّله بذكر الموت « وبصّره فجائع الدنيا ، واعرض عليه أخبار « الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من

الأولين . وسر في ديارهم وآثارهم ، فانظر فيما
« فعلوا وعما انتقلوا ، وأين حلوا ، ونزلوا فإنك
« تجدهم قد انتقلوا عن الاحبّة وحلوا دار الغربة ،
« وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم . فاصلح
« مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك .

ويقول :

« إعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا
« على سبيل من قد مضى قبلكم ، ممن كان أطول
« منكم أعماراً ، وأعمر ديارا ، وأبعد آثاراً .
« أصبحت أصواتهم هامدة ، ورياحهم راكدة ،
« وأجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية
« (زائلة) فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق
« المهدة ، الصخور والأحجار المسندة القبور
« اللاطئة الملحدة التي قد بنى على الخراب فناؤها
« (صحنها) وشيد بالتراب بناؤها فحلها مقارب ،
« وساكنها مغارب ، بين أهل محلة موحشين ، وأهل
« فراغ متشاغلين ، لا يستأنسون بالاوطان ، ولا
« يتواصلون (لا يتزاورون) تواصل الجيران على
« ما بينهم من قرب الجوار ، ودنو الدار .

« وكيف يكون بينهم تزاور ، وقد طحنهم

« بكلكله (بهيكله) البلى (والفناء) وأكلتهم الجنادل
« (الأحجار الكبيرة) والثرى (الأرض) . وكان
« قد صرتم إلى ما صاروا اليه ، وارتهنكم (أخذكم
« كرهائن) ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع .
« فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور (انتهت بكم
« الأمور) وبقرت القبور ، هنالك تبلو كل نفس ما
« أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق ، وضل عنهم
« ما كانوا يفترون » .

★

وهنا قد يقول البعض ـ : إذا كانت الدنيا مجرد (محطة) في الطريق إلى الموت كما قال الإمام علي (ع) :

ألا إنما الدنيا كمنزل راكب

أناخ عشياً وهو في الصبح راحلُ

فهل يجوز لنا أن نسعى للحصول على سعادة الدنيا ؟ أم يجب التفرغ لسعادة الآخرة ؟

والجواب ـ : إن الدنيا وإن كانت مرحلة أختبار ، تسبق إعلان النتائج ، إما إلى الجنة أو إلى النار ، والأرض وإن كانت مجرد (محطة) متوسطة بين عالم الذر الذي خلقناه ورائنا ، وعالم

الآخرة الذي هو أمامنا ، ولكن الله يريد للانسان أن يكون سعيداً سواءاً في الآخرة حيث يحط رحاله إلى الأبد ، أم في طريقه إلى الآخرة حيث يأتي حط الرحال مؤقتاً .

إن رحمة الله لا تريد شقاء بني الإنسان ، بل العكس إنها تريد سعادته في جميع مراحل حياته .

يقول الإمام (ع) :

(ليس منا من ترك آخرته لدنياه ، وليس منا من
(ترك دنياه لآخرته .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

(لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال ، يكف
(به وجهه ، ويقضي به دينه ويصل به رحمه .

ويقول القرآن :

« ومنهم من يقول - : ربنا آتنا في الدنيا حسنة
« وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ★ اولئك
« لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب [1]

إن الله لا يعمل عبثاً ، فاذا رأينا انه تعالى خلق الأرض وخلق فيها كل اسباب الرفاهية والعيش الكريم ، فلا بد أن

---

(١) سورة البقرة - ٢٠١ - ٢٠٢

نعتقد انه خلق كل ذلك لسعادة الأنسان ليس لشقائه . وإلا لما كان هناك أي داع إلى خلقه .

يقول القرآن الكريم :

« قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده، والطيبات
« من الرزق ؟

ان «الماء الحلو» وهو طيب – طبعاً – لم يُخلق لكي يستعيض عنه الإنسان « بالماء المر » ويخطيء من يفعل ذلك مبرراً عمله الطفولي هذا بأن الدنيا زائلة ، وان الآخرة هي دار السعادة .. لأن الله يقول :

« هو الذي جعـــل لـكم الأرض ذلولاً فامشوا في
« مناكبها ، وكلوا من رزقه .

ويقول :

« وخلق لكم ما في الأرض جميعا .

ويقول : « الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات والأرض
« واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة . ؟

« والأرض وضعها للانام .

وكل هذا يعني : ان من حق الأنسان الطبيعي ان يستفيد من كل طيب يجده على وجه الأرض ، إذا لم يشوبه شيء من التعدي والطغيان .

ان الذي يطلبه الله في الدنيا ، هو ترك عبادة الدنيا بحيث تصبح هي الهدف ، وليس هو ترك الدنيا ذاتها ، والفرق واضح بين « ترك الدنيا » الذي يعني « الرهبانية » وبين ترك « عبادة الدنيا » التي تعني « نسيان الآخرة » على طريقة من يعمل على اساس : « ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق [النصيب] . »

فالذي يسعى لإسعاد نفسه ، وزوجته وأفراد أسرته ويعمل للحصول على بيت مرفه ، وسيارة أنيقة ، وزوجة صالحة ، ومال حلال ، ولا ينسى في ذلك حقوق الله والمجتمع ، ولا يسرق ، ولا يغش.. الخ لا يعتبر بأي شكل من الأشكال عابداً للدنيا ، وإنما هو في الحقيقة عابد لله ، وعمله نوع من العبادة . لأن الكاد لعياله – كما قال الرسول الأعظم – كالمجاهد في سبيل الله .

غير ان الذي يسعى للحصول على الدنيا ، من دون ان يهمه من أين .؟ وكيف .؟ ولا يعترف بأي حق لله أو للمجتمع ، هذا الانسان هو عابد الدنيا ، وهو الذي يقول عنه الرسول الأعظم :

ملعونٌ .. ملعون من عبد الدينار والدرهم [1]

---

(١) اصول الكافي ج – ٢ ص – ٢٧٠

صحيح أن «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ولكن ليس حب الدنيا لاستعمالها في موقعها الصحيح ، وإنما حب الدنيا للدنيا .

دخل رجل على الامام الصادق (ع) وقال له – :

انا نحب الدنيا ، ونحب أن نؤتاها .

فقال له الامام – : تعملون بها ماذا ؟

أجاب – : نوسع على عيالنا ، ونتصدق بها على فقرائنا .

فقال الامام – : ليس هذا من حب الدنيا . انه حب للآخرة .

لماذا .؟

لأن تملك الدنيا ليس حراماً، انما الحرام استعمالها في الحرام ، فاذا كان الهدف من تملك الدنيا : الطغيان والاثراء غير المشروع والاستغلال ، كان من حب الدنيا عبادة للشيطان ، ولو كان البذل والعطاء ، والعيش السعيد ، كان حب الآخرة .

وبالطبع ليس هنالك من هو أولى بالدنيا من السائرين على منهاج الله، لأن هؤلاء فقط هم الذين يستعملونه في موقعه الصحيح. تماماً كما أنه ليس هنالك أولى بالبيت – مثلاً – من الذين يستعملونه للحياة ، وليس لارتكاب الجريمة .

ثلاثة) ان الله يسجل على الانسان جميع لحظات حياته ،

فلا تخفى عليه خافيـــة في الأرض أو في السموات ، فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فلا بد اذن من تجنب معصيته ، لأن عصيان الله تعالى ، سواءاً بما يرتبط بحياتنـا الخاصة أو العامة سيؤدي إلى خسـراننا للآخرة ، لأن كل لحظة معصية قد تكون هي آخر لحظة من حياتنا مما يعني : ان من الممكن ان يلتقي العاصي مع الله ويداه غائصتان في وحول الجريمة . الأمر الذي حدث لكثيرين حتى الآن ..

يقول الامام علي (ع) :

« يا بن آدم !
« إذا رأيت أن الله يغدق عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره .

لأن الله قد يمد للفرد ، حتى إذا أطمأن بالمعاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر .

ذات مرة .. كان أخوان أثنان يعيشان في بيت واحـد ، أحدهما في الطابق التحتي ، والثاني في الطـابق العلوي . وكان الذي يعيش في الطابق التحتي تقياً عـابداً ، لا يفتر عن عبادة الله ، بينما كان الثاني فاجراً ساقطاً لا يفتر عن عبادة الشيطان .

واستمر كل منهما في خط سيره لمدة ثلاثين عاماً .

وذات ليلة فكر العاصي مع نفسه أن حياته قد فنيت كلها في العصيان ، وأن من الممكن أن لا يغفر الله له ذلك ، فقرر أن يتوب إلى الله ، ويلتجأ إلى صومعة أخيه ليقضي بقية عمره فيها .

وصادف أن فكر أخوه مع نفسه أن حياته قد انقضت في الطاعة ، وأن افناء الحياة مع الزهد يعني الحرمان من طعم الملاذ والشهوات ، فقرر أن يدخل الطابق الأعلى ليقضي ليلة واحدة مع المغنيات والمطربات .

وترك كل منهما غرفته متوجهاً إلى غرفة الثاني .

وفي اللحظة التي التقى كل منهما بالآخر ، في منتصف الطريق ، هبط عليهما عزرائيل ، وقبض روحيهما معاً . فأمر الله بروح الزاهد إلى النار . بينما أمر بروح الفاجر إلى الجنة .

لأن الطريق الذى كان يسير فيه العابد في تلك اللحظة ، كان ينتهي طبيعياً إلى النار . والطريق الذى كان يسير فيه الفاجر ينتهي إلى الجنة .

وهكذا خسرت لحظة عصيان واحدة الزاهد ، الجنة ، بينما اربحت لحظة طاعة واحدة الفاجر ، الجنة .

ان مشكلتنا هي اننا لا نعرف بالتحديد متى نموت . ولذلك

فان كل لحظة مرشحة لتلقي خبر موتنا، في حادث سيارة، أو سكتة قلبية، أو ضربة مفاجئة أو ما شابه ذلك. مما يعني ان من المحتمل جداً أن يلقى الواحد منا ربه وهو مشغول بمعصيته . كما حدث ذلك للص مشهور في مدينة اسلامية عام ١٩٦٦ . فقد دخل هذا اللص دار أحد المواطنين ، ولكنه وجد أن صاحب البيت قد جمع كل أثاث البيت في الغرفة التي كان ينام فيها في تلك اللحظة مع زوجته وأبنه الرضيع وبدا اللص للوهلة الأولى استحالة الحصول على أية قطعة أثاث ، لأن مجرد الدخول في الغرفة كان يكفي لإيقاظ الرجل ، ومن ثم القبض عليه .

وبعد تفكير سريع توصل إلى خطة عمل ، ترجمها فوراً إلى مجموعة أعمال. فقد حمل الرضيع إلى ساحة الدار، ثم أيقظه برفق ، فبدأ الرضيع يبكي. فاستيقظت الأم على أثر بكاء الطفل، فأيقظت معها الزوج الذي مدهوشاً بسبب وجود الطفل خارج الغرفة فخرجا من الغرفة ، وفي اللحظة التي وصلا فيه إلى ساحة الدار ، بدأ اللص ينفذ بقية الخطة ، فقد دخل فوراً إلى الغرفة وأخذ يجمع بسرعة الأثاث استعداداً للهروب بها خلال فترة وجود صاحب البيت وزوجته خارج الغرفة .

فما الذي حدث ؟

في اللحظة التي كان اللص يقوم بتنفيذ القسم الأخير من خطته ، هز المدينة زلزال مفاجيء أدى إلى تصدع جدران

البيت ، فانهار عليه سقف الغرفة بينما كان مكباً على الأثاث المسروق .

وهكذا مات اللص تحت الانقاض ملوثاً بالجريمة في الوقت الذي نجى الله فيه صاحب البيت ، وزوجته وطفله من موت محتم .

ان الموت الذي ابتز هذا السارق لم يكن وحشاً من غابات افريقيا ، وانما كان قدراً مفروضاً عليه ، ولكنه لم يكن يعرف ذلك .

وكما في السارق كذلك .. فينا .

كل واحد منا معرض للموت في أية لحظة . وحذار أن نموت في حالة عصيان .

« قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم
« الساعة بغتة قالوا — : يا حسرتنا على ما فرطنا
« فيها . وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم .
« الا ساء ما يزرون (١)

---

(١) سورة الانعام - ٣١

ويقول الإمام علي (ع) :

« واعلم يا بنيّ ..

« انّك انما خلقت للآخرة لا للدّنيا، وللفناء لا للبقاء ،
« وللموت لا للحياة ، وانك في منزل قلعة [المنزل
« الذي لا يدري النازل فيه متى يتنقل عنه] ودار
« بلغة ، وطريق إلى الآخرة ، وانك طريد الموت
« الذي لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه ،
« ولا بدّ انه مدركه فكن منه على حذر ان يدركك
« وانت على حالة سيئة قد كنتَ تحدّث نفسك منها
« بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك ، فإذا انت قد
« اهلكت نفسك [1] .

ويقول القرآن الكريم :

« أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم
« الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون .
« أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين [2] .

أربعة) لا بدّ للإنسان الذي يسير في درب الله ان يتبع

---

(١) نهج البلاغة ص ـ ٤٧٧

(٢) سورة النحل ـ ٤٥ ـ ٤٦

المناهج التالية في سلوكه الشخصي :

١
التفقه في الدّين

على كل فرد ان يتفهم مبادىء الدين ، لأن هذه المبادىء هي وحدها القادرة على أن تمنحه السعادة المنشودة ، ولأنّ من دون تفهم الدين سيكون الإنسان ضحية اهواء الآخرين، انّه كالبقرة الساقطة تكثر عليها السكاكين ، أو على الأصح انه كالمدينة المفتوحة التي يكثر غزاتها .

٢
العمل للحق

قليلون هم الذين لا يعرفون الحق ، ولكن كثيرون هم الذين لا يعملون للحق .

إنّ تحمل مسؤلية الحق هو اصعب ثقل على قلوب عبّاد الهوى ، ولكنه أجل باقة ورد إلى قلوب المتقين . فلا بدّ لو اردنا أن نكون من المتقين أن نتمسك بالحق ، وأن نناضل من اجله كذلك .

والشعار الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا في هذا المجال هو :

« خض الغمرات للحق حيث كان .

٣

جعل النفس مقياسا :

كثيراً ما يحتار الانسان في اختيار الموقف المطلوب منه إزاء الآخرين ، فلا يدري مثلاً ماذا يجب أن يفعل إزاء صديق قدّم له هدية ؟

وكيف يجب أن يكون موقفه عندما يطلب منه أحد حاجة؟ وما هو أفضل الطرق لرّد الاحسان ؟ ... الخ

والطريقة الوحيدة لمعرفة ذلك هي أن يجعل الإنسان نفسه مقياساً لأعماله وكما يقول الإسلام :

« إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحب
« لغيرك ما تحب لنفسك ، وأكره له ما تكره لها ،
« ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم ، واحسن كما تحب
« أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح
« من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من
« نفسك .

والعملية سهلة جداً : قبل أن تتخذ أي موقف إزاء أي شخص افترض أنك في مقامه هو ، وأنه في مقامك أنت ، ثم اتخذ الموقف الذي كنت تحب أن يتخذه منك لو كنت في موقفه هو .

٤
تجنب السقوط في عبادة المادة :

بريق الماديات ، يسلب الكثيرين القدرة على تفهم المصير ويدفعهم إلى الضياع بين خطوط الدينار المتعرجة ، والإنشداد إلى حلقة الدرهم المفرغة ،فيهوون إلى حضيض عبادة الدنيامتمثلة في عبادة التجارة ، والزوجة ، والأولاد ، و .. رصيد البنك !

وعبادة الدنيا ، تضع الإنسان في غرفة محكمة الاغلاق تسير معه أينما سار ،ولا تسمح له أن يرى الأشياء والأمور إلا من خلال ثقوبها ، فتصبح حتى الزوجة والأولاد جزءاً من المصلحة ، وتحدد قيمتهم بما ينفعون مادياً ، وما يضرون مادياً .

وهكذا تضع الدنياعابدهافي دائرة الأعجاب.والاعجاب- كما قال الإمام علي (ع) – ضد الصواب وآفة الألباب ،ولذلك فإن على الإنسان أن يكون ساعياً إلى امتلاك الدنيا في الوقت الذي يكون هارباً من عبادتها .

يقول الإمام علي (ع) :

« إسع سعيك ، ولا تكن خازناً لغيرك ، وإذا « هديت لقصدك (حصلت على ما تريد) فكن « أخشع ما تكون لربك .

لربك .. لا للمال .

إنّ كل نعمة ورائها مسؤلية ، فكل فلس يضاف إلى رصيد الانسان يضيف بلا ترديد ثقلاً على حمله في الطريق الشاق والطويل الذي لا بد أن يقطعه لملاقاة الله .

وما دام « ظهر » الانسان ضعيفاً فلا بـد من المحافظة على النسبة بين ثقل الحمل ، وضعف الظهر .

ليس حراماً بالطبع أن يكسب الانسان الأموال ، ولكن الحرام أن يشتري بامواله وقوداً لاحراق نفسه ، أو على الأقـل أحجاراً ضخمة على كتفيه .

ولهذا يجب تحمل مسؤليات الأموال – هذه الامانة التي ينسى الناس عادة انها أمانة – حتى لا تتحول من مفتاح ، يفتح أبواب الجنة إلى اصفاد تجر إلى النار .

يقول الإمام علي (ع) :

« لا تحملنّ على ظهرك فوق طاقتك ، فيكون ثقل
« ذلك وبالاً عليك .

« وإذا وجدت من أهل الفاقة [الفقراءَ وذوي
« الحاجة] من يحمل لـــك زادك إلى يوم القيامة
« فيوافيك به غداً حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله

« اياه » واكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك « تطلبه فلا تجده .

ولكن كيف يمكن المحافظة على التوازن العملي » في وقت يعيش فيه الجميع في حمّى الذهب والفضة والجنس ؟

إن تذكر الموت » قد يمنع الانسان من الانجراف في مظاهر المادة » كما أن تذكر الله قد يمنع من الاستسلام للباطل مهما كانت مظاهره .

« يا بني ـ يقول الامام علي (ع) ـ أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه [المصير الذي ينتظرك بعد الموت] حتى يأتيك [الموت] وقد أخذت منه حذرك » وشددت له أزرك ولا يأتيك بغتة فيبهرك .

واياك أن تغتر بما ترى من اخلاد أهل الدنيا اليها (تحببهم إلى مظاهر المادة) وتكالبهم عليها . فقد نبأك الله عنها » ونعت لك نفسها . فانما أهلها (عبّادها) كلاب عاوية » وسباع ضارية » يهرّ (يعقت) بعضها بعضاً » ويأكل عزيزها (قويّها) ذليلها » ويقهر كبيرها صغيرها .

« نعم معقلة » وأخرى مهملة (الضعفاء كالبهائم المربوطة التي لا تستطيع التحرك . والأقوياء » كالبهائم الحرة التي تسمل

كل ما تريد) ليس لها راع يقيمها . [1]

سلكت بهم الدنيا طريق العمى وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى ، فتاهوا في حيرتها ، وغرقوا في نعمتها ، واتخذوها (الدنيا) ربّاً فلعبت بهم ،ولعبوا بها ونسوا ما ورائها ، .

5
الدعاء الى الله

هل هناك أضعف من الانسان في الحياة ؟

أكثر الناس قراءاً لا يستطيع ان يهضم الا صحناً من الطعام وشيئاً من الخبز . ولا يستطيع ان ينام الا على مترين ونصف ، ولا يستطيع ان يعمل أكثر من ١٤ ساعة .

وأقوى الناس لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ألم المرض .

وأطغى الجبابره تسلبه الذبابة راحته ..

وأطول الناس لا يبلغ في الطول قدّ الجبال ..

---

(١) عندما تتحول الدنيا من وسيلة إلى هدف ، تصبح القيم الحاكمة على الناس من قماشة الدنيا ذاتها . فالقوة وليس العدالة تحتل مكان الحق والصدق والعدالة ، فيأكل القوي فيها الضعيف ، والعزيز الوضيع . اليس الوضع الدولي الان ، هكذا ؟

وأعظم الرؤساء يقهره الموت ..

فهل هناك أضعف من الإنسان؟هذا الذي بدايته الماء الدافق ذو رائحة كريهة ولون بشع ، ونهايته : جيفة محنطة تأكلها الدود .

ومع ذلك — هل هناك اكثر من هذا الإنسان طغيانا وتجبرا؟

مسكين ابن آدم !

ينسى البداية . ويتناسى النهاية . فيطغى ويتعالى حتى على الله . وإذا وصل إلى مقاصده فسيظن أنه هو الذي أوصل نفسه إليها . بينما الله هو الذي وفقه لذلك .

فاصحاب النفوس ذات الأحجام الصغيرة يتكلون على أنفسهم بمجرد أن يقوموا بانجاز بعض الأعمال ظناً منهم بان جهود البشرية هي صاحبة الفضل في ذلك أمّا اصحاب النفوس الكبيرة فانهم يعرفون أن قيمتهم تأتي من مدى تعلقهم بالله . باعتباره الفاعل الوحيد في الكون فإذا أقدموا على عمل توكلوا على الله وإذا انجزوا عملا طيباً شكروا الله عليه . ولهذا فإن هؤلاء لا يطغون وإن وصلوا إلى أعلى المراتب .

فكيف يمكن أن يصبح الإنسان من هذا الطراز ؟

والجواب — : أن الدعاء إلى الله والتوجه اليه والتضرع إلى مقامه الرفيع يستطيع أن يوقظ في أعماق الإنسان روح التفاعل

مع الحياة والإعتماد على الله ، بدل الإتكال على الذات والإبتعاد عنه تعالى .

هل هناك مسكين كابن آدم : « تؤذيه البقة ، وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة » ؟

وهل هناك غني كالله « بيده خزائن السموات والأرض » ؟

وهل هناك من يستطيع أن يساعد الإنسان المسكين كالله الغني ؟

إنّ الدعاء الى الله يعطي الإنسان القوة النفسية الكافية لمواجهة كل المشاكل والأزمات . لأن الدعاء يعني الإعتماد على القدرة المطلقة التي تحكم الكون .

والدعاء بالإضافة الى ذلك عودة الى الطهارة بعد الأثم . ورجوع الى الحق بعد الخطيئة . واغتسال في حنان الله بعد الضياع .

واذا كان الله قد اذن للإنسان بالدعاء في كل الأوقات ، من دون ان يتخذ أي حجّاب أو وسائط ، فلماذا تتكاسل ما دام قد : « أمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه ، ولم يمنعك — ان اسأت — من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة (الانتقام) ، ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يؤيسك من الرحمة ؟ بل جعل نزوعك (انقطاعك) عن الذنب

حسنة ، وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشرة وفتح لك باب المتاب (التوبة) ، كما قال الأمام (ع) .

لماذا التباطل في الدعـــاء ؟ ما دام يعني الخشوع لله ويغير (الخشوع لله) لا يمكن أن يكون الانسان طيباً ؟

لماذا الخجل من الله؟ما دام الله – كما قال الامام علي (ع)–
(إذا ناديته سمع نداءك ، وإذا ناجيته علم نجواك ،
(فافضيت اليه بحاجتك ، وشكوت اليه همومك ،
(واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته
(ما لا يقدر على اعطائه غيره من:زيادة في الأعمار.
(وصحة في الأبدان . وسعة في الأرزاق .

أجل ، لا يستطيع أن يعطي .العمر ، والصحة ، والثروة، غير الله ... فلولا ارادة الله وتوفيقه لما كان التاجر تاجراً .

اليست التجارة بحاجـــة إلى العقل والحكمة ؟ من أعطى التاجر العقل والحكمة ؟

.. ولولا الله لما كان الأنسان صحيح الجسم ،

أليست الصحة تتطلب الابتعاد عن أسباب المرض ؟ . من يوفق الانسان لتجنب هذه الأسباب ؟

.. ولولا الله لما كان الحي ، حياً ،

اليست الحياة تعني اللا موت ؟ من يبعد الموت عن الانسان؟

إن أقل نظرة يلقيها الانسان على واقعه تكفي لكي تكشف له عن فاعلية الله المطلقة في الحياة ، هذه الفاعلية التي تترفع عن الجبر ، ولكنها توفر الوسائل .

فأنا وأنت نمشي ، ونأكل ونشرب بوحي من تفكيرنا . فالفكر هو الذي يهدي الإنسان إلى الرشاد ، كما انه هو الذي يهديه إلى الهلاك .

هل تستطيع أن تقول لي من يهدي فكرك ؟

من ينبهك مثلاً إلى أن الدخول في الصفقة الفلانية ليست مربحة ؟ أو أن الصمت في المقام الكذائي ليس جيداً ؟

ان الانسان عندما يدعو الله لكي يعطيه الرزق فانه لا يطلب منه ان يدلي له الرزق عن طريق (دلاء) يمدها من السماء ، وانما يطلب منه ان يهدي فكره إلى الطريق الأفضل للحصول على الرزق .

كما انه عندما يدعو الله لكي يعطيه الصحة فانه لا يطلب منه تعالى ان يرسل اليه « أدوية ». وإنما يطلب منه أن يهدي فكره إلى تجنب الاطعمة المضرة .

ان الدعاء له تأثير كبير ـ ولا شك ، في توفيق الانسان

للعمل الطيب الصالح وتجنيبه الأعمال الضارة . لأن تهيئة اسباب ذلك ليس بيد الانسان .

وإذا كان الله هو الفاعل في الحياة فمن أولى به لكي يتقدم اليه الأنسان بحاجته ؟

يقول القرآن الكريم :

(قل ما يعبأ (يعتني) بكم ربي لولا دعائكم.

٦
الانفاق في سبيل الله

هل يمكن للأنسان ان يخدم ماله ، هكذا دائماً ؟

طبعاً لا . لان الانسان يموت .

وهل يستطيع المال ان يخدم الانسان . هكذا دائماً ؟

لا . أيضاً ، لأن الانسان يموت .

فالمال ـ كما قال الامام علي (ع) ـ لا يبقى لك . ولا تبقى له .. فلماذا البخل به على المحتاجين والمعوزين ؟

يقول الله في حديث قدسي :

(عبدي ... ما أنصفتني ، اذكرك وتنسى ذكرى .
(وأدعوك إلى عبادتي وتذهب إلى غيري ، وأرزقك
(من خزائني ، آمرك لتتصدق لوجهي ، فلا تطيعني ،
(وأفتح عليك ابواب الرزق ، استقرضك من مالي
(فتجبهني (تمنعني) ، واذهب عنك البلاء وأنت
(ممتكف على فعل الخطايا ! يا بن آدم .. ، ما
(يكون جوابك لي غداً إذا أجبتني (إلى
(الموت) ؟ [٢]

ان المال لا يبقى ، بل يذهب . والمهم أن يسعى الانسان لكي يذهب من يديه في سبيل الخير . فقد جاء في الحديث :
(اللهم أجر للناس على يدي الخير [٣])

يقول الله في حديث قدسي :

---

(٢) كلمة الله ص ٣٤٥
(٣) مفاتيح الجنان

(الخلق عيالي . فأحبّهم إلي الطفهم بهم ، واسعاهم (في حوائجهم [1] .

٧

الترفع عن الاستغلال :

الذين لا يعرفون موقع وأهمية أنفسهم يبيعونها بسهولة، لأنهم لا يقدرون قيمة الانسان القابع في أعماقهم .

ولذلك فإن المال يستطيع أن يشتري ضمائر هؤلاء بالسهولة نفسها التي يمكن بها شراء الكلاب .

والشعار الذي يجب عليك رفعه لتجنب ذلك هو :

« أكرم نفسك من كل دنيّة » .

فلا تسف إلى المواقع الحقيرة ، مهما كان الثراء حولها ضخماً، لأن قيمة (الانسان) عندك أكثر بكثير من أن يثمّن بمال .

إن المال إنما يطلب للحفاظ على صيانة النفس من الابتذال فاذا تحول المال نفسه إلى موقع ابتذال ، فيجب الابتعاد عنه فوراً .

يقول الامام علي ع — :

---

(١) كلمة الله ص - ٢٠٧

(لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً .

ويقول :

(ما خيرٌ خيرٍ (ما فائدة خير) لا ينال إلا بشر؟
(وما يسرٌ يسرٍ (ما فائدة يسر) لا ينسال إلا
(بعسر ؟ .

٨

العمل .. مع العفة

أنْ لا يتعدى الانسان حدود انسانيته ، أشرف بكثير من أن يمزق ستائر العفة ، فالعمل الجسدي الشريف خير إذا كان مع العفاف ، من الثراء الضخم إذا كان مع الفجور والفحش .

وكما قال الامام علي ع - :

(الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور.

٩

الدخول الى نادي الخيّرين

للدخول الى نادي الخيرّين هناك وصية واحدة - :

(قارب أهل الخير تكن منهم
(وباين أهل الشر تبن عنهم .

فالقضية لا تحتاج الى : معادلات أو حسابات ، أو فلسفات إبحث أين يجتمع أهل الخير ؟ اذهب اليهم . وفتش أين يكون مجمع أهل الشر ؟ ابتعد عنهم .

١٠
الصداقة الطيبة

(الرّفيق قبل الطريق . ا

أليس كذلك ؟

اذن : فاختر الصديق الجيّد ، قبل أن تختار الطريق الجيد ، لأنّ الصديق الرديء كالفاكهة الرديئة يفسد بصمت ، بينما الصديق الطيب كالوردة الطيبة تجلب الفراشات بسهولة . فإذا صادقه الانسان فسرعان ما يجد نفسه وسط مجموعة من الأصدقاء الطيبين .

ولكن من أين يمكن الحصول على الصديق الطيب ؟

فتش عن (المبذر) الطيب ثم صادقه ، فاذا وطدت صداقتك معه فحاول أن تكون (معلّمه) في الأعمال الخيرة ، فإذا قاطعك مثلاً ، فعلّمه المرآدة ، عن طريق الصلة اليه . واذا امتنع عنك ، فعلّمه التقارب ، عن طريق اللطف اليه . واذا بخل عليك فعلّمه الكرم ، عن طريق الجود عليه . واذا اشتد عليك فعلّمه الحبة ، عن طريق اللّين معه .

وأخيراً (إحمل نفسك – كما يوصي الامام علي ع – عند

جرمه على العذر حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك).

غير أنّه لا بد أن يكون الذي تفعل معه ذلك أهلاً لمثل هذه المعاملة و « إياك أن تضع ذلك في غير موضعه أو أن تفعله بغير أهله » .

واذا وجدت مثل هذه الصداقة :

أ – فلا تتخذن عدوّ صديقك صديقاً ، فتعادي صديقك » – كما يقول الأمام (ع) – لأن صديق العدوّ عدو .

ب – وأمحض أخاك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة ، فلا تبخل عليه بفكرك ولتكن مخلصا في نصيحته .

ج – و « تجرّع الغيظ » فلا تستعمل سريعا فإن الأمـــام يقول : اني لم أرَ جرعة احلى منها (من جرعة الغيظ وبلعه) احلى منها عاقبةً » .

د – وان اردت قطيعة أخيك ، فلا تقطع معه كل الصلات بحيث لا تستطيع الرجوع الى صداقته ثانية ، وانما « استبق له من نفسك بقيةً ترجع اليها إن بدى له ذلك يوما ما » .

هـ – « ولا تضيعنّ حق أخيك » بحجة أنه أخوك وأن الأخ لا بدّ أن يسامح اتكالاً على ما بينك وبينه من صداقة وأخوّة . « فانه ليس لك بأخ من اضعتَ حقّه كما قال الإمام (ع) .

١١

الاسرة : سعادة مسؤلة

الزوجة التي تربط مصيرها بمصيرك.. والأولاد الذين يتربون في احضانك ، امانات لا يجوز لك أن تفرّط فيها .

عاملهم معاملة الصديق ولا تسمح « أن يكون اهلك اشقى الخلق بك » .

فعليك – من جانب – ان تحافظ على كرامتهم ، وعفافهم لئلا تدخل عليهم من لا يوثق به .

وعليك – من جانب آخر – ان لا تحمـــل زوجتك فوق طاقتها ، فإنّ « المرأة ريحانة وليست بقهرمانة » .

كما قال الأمام علي (ع) –

وعليك ايضا ، ان تحسن الظن بها ، وأن لا تكون شكاكا في عفافها ومراقبها .

يقول الأمام (ع) :

« ايّاك والتغاير (اصطناع الغيرة) في غير موضع « غيرة فإن ذلك يدعو المرأة الصحيحة الى السقم. « والبريئة الى الريب .

١٢
الصمود .. أخيرا

الحياة ليست دائماً مزرعة الياسمين . وانما هي خليط من الياسمين ومن شوك الصبّار .

والذين لا يتسلحون ضدّ الشوك ، لا ينفعهم تلألؤ الياسمين . انّ الحياة ـ عقيدةً أولاً ـ وجهادٌ في سبيل هذه العقيدة ثانياً ـ

ولا بدّ من الصمود . الصمود تجاه الحياة القاسية . الصمود في مقاومة الألحاد . الصمود في وجه المشاكل .

يقول الامام علي ع ـ :

« إطرح عنك واردات الهموم ، بعزائم الصبر
« وحسن اليقين [١] .

ويقول القرآن الكريم :

(يا بني ..

(أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر
(واصبر على ما أصابك . إن ذلك من عزم
(الأمور [٢] .

---

(١) من حديث طويل للامام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الامام الحسن عليه السلام . نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٧ ـ ٥٧

(٢) سورة لقمان ـ ١٧

هادى ٥٥

الرُّسُلُ وَالرِّسَالات

إذا وقف الإنسان لمدة خمس دقائق أمام المرآة، فإنه سيجد أن كل عضو في جسده قد وضع في محله المناسب، فالعين موضوعة مكان مناسب . والأذن في مكان مناسب . والأنف في مكان مناسب . والشعر في مكان مناسب ، بحيث لو أُخرجت العينان إلى مكان الاذنين ، وركزت الأذنان محل العينين ، ونقل الأنف إلى خلف الرأس ، وهاجر الشعر إلى داخل الوجه ، لأصبحت صورته أشبه بالصور الكاريكاتورية ذات المنظر البشع .

وأيضاً ..

لو نُقلت اليدان إلى محل الرجلين ، والصدر إلى مكان الظهر ، والأصابع إلى محل الحقو ، لأصبح الانسان حيواناً يستحيل عليه العيش بسهولة .

وكما في الأعضاء الخارجية كذلك في الأعضاء الداخلية : كل عضو موضوع في محله المناسب . حتى الخلايا فإنها تتمتع بموقعية مناسبة بدليل أن أقل تغيير في أقل جزء في داخل الانسان

يؤدي إلى المرض . فالمرض هو – في حقيقته – وقـــوع خلل جزئي في عضو من اعضاء الانسان .

وكل هذا يعني أن عدالة حقيقية يتمتع بها الانسان من الناحية الجسدية .

ولكن هل القضية تختص بالانسان وحده ؟ كلا . فكما في الانسان كذلك في الحيوان .. كذلك في الاشجار .. كذلك في أجزاء الكون :

« كل شيء بـلا استثناء مقدّر في الحياة ، ويجري
« تنظيمه بانضباط كامل . فالالكترون لا ينتقل
« من مدار إلى مدار في فلك النواة الا إذا أعطى
« أو أخذ جزءاً من الطاقة تساوي مقادير انتقاله ،
« وكأنه راكب في قطار لا يستطيع أن يستقل
« القطار الا إذا دفع ثمن التذكرة .

« وإذا كان الكون كله جدولاً من القوانين المنضبطة
« فان استنتاجنا للعدل الآلهي يكون استنتاجاً
« واقعيا ، لأن الكون هو الذي يكشف عنه[1]

وإذا آمنـا بعدالة الله في أجزاء الكون ، فاننا لا بدّ أن

---

(١) « عدالة الله » للمؤلف .

نؤمن بعدالته أيضاً في الهداية والارشاد . ذلك لأن العدالة تأبى أن يخلق الخلق بالملايين ويتركهم يتيهون في ظلام الجهل والغباء. خاصة بعد أن نجد أنه تعالى قد ارشد حتى الحيوانات إلى ما فيه خيرها ، فجعل لها غرائزها التي تهديها إلى صوابها . (الله الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) .

فكيف يمكن أن يترك الانسان بلا هداية ، ولا غرائز ؟

ان عدالة الله التي أبت على الكون إلا أن يسير ضمن خطوط متزنة هي التي تأبى عليه إلا أن يرسل إلى الأرض من يقود الانسان إلى ما فيه خيره ، ويضع له البرامج الكفيلة باسعاده . وهم الأنبياء .

لقد أراد الله العدل ، فأجبر الشمس والقمر والكواكب ان تجري في مدارات عادلة . وأجبر الأشجار والحيوانات ان تتبع أنظمة معينة . واراد العدل فأجبر جسد الانسان أن يتبع نظاماً معيناً ، فالقلب يعمل ما دام الدم يجد طريقه في العروق والمعدة تشتغل ما دامت تجد « الوقود » والكبد يقوم بعمليته الاعتيادية ما دامت الروح في الجسد .

وأراد العدل ، فترك للانسان أن يعمل بوحي من وجدانه الذي زرعه فيه من عالم الذر :

« ونفس وما سوّاها . فألهمها فجورها ، وتقواها

« قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دسّاها[1]

ولكن الله أبى في الانسان ان يجبره على اتباع العدل ، ـ كما فعل في الحيوانات والاشجار والكواكب ـ لأن اجبار الانسان على اتباع العدل يعني سلبه أهم ميزاته ، وهو : الحرية .

غير أنّ الله تعالى كشف من وسائل توعية الانسان . فإلى جانب الوجدان القابع في أعماقه ، فقد زود الله الانسان بالعقل وزوده بالعلم ، ومع ذلك أرسل اليه الأنبياء والرسل ، وبعث معهم المناهج والشرائع : ليذكروا الانسان بوجدانه ، ويصلحوا سريرته ، وينظموا حياته ، ويهدوه سواء السبيل .

من هنا كان إرسال الرسل قضية تقتضيها عدالة الله بحيث لو لم نؤمن بهذه العدالة ، لم نجد أي داع الى إرسال الرسل ، لأن حاجة الانسان إلى الدين والرسالة هي التي تلح على ذلك ، بعد أن اثبتت التجارب البشرية حتى الآن عجز الانسان عن الوصول إلى النظام الأفضل ، والشريعة الأحسن لحياته .

اذن فما دام أن الله موجود ،

فلا بد أن يكون عادلاً

وما دام أنه عادل ،

فلا بد أن يرسل الأنبياء .

---

(١) سورة الشمس ٧ ـ ١٠ .

يقول الامام الصادق (ع) في الإجابة على سؤال – : من أين نثبت الانبياء والرسل :

(انّا لما أثبتنا أن لناخالقاً صانعاً متعالياً عناوعن
(جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيما متعالياً
(لم يجـــز أن يشاهده خلقه ، ولا أن يلامسوه
(فيباشرهم ويباشرونه ، ويحاجّهم ويحاجونه ،
(ثبت أن له سفراء في خلقه ، يعبرّون عنه الى خلقه
(وعباده ، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ، وما
(به بقاؤهم ، وفي تركه فناؤهم فثبت الآمرون
(والنـاهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون
(عنه – عز وجل – وهم الانبياء .

★

اذا كان وجود الانسان على وجه الارض وجوداً موقتاً، فلا بد من استغلال هذا الوجود استغلالاً كاملاً، لئلا تفوت الفرصة، وتصبح من النادمين .

إنّ كل لحظة من حياة الانسان لهـــا قيمتها الخاصة ، وأي تفريط في ذلك يعني تفويت الشيء الكثير ، والكثير جداً .
يقول الشاعر :

انفاس عمرك اثمان الجنان فلا
تشرى بها لعباً في الحشر تشتعلُ

ولكن من أين نعرف : ما الذي يجب علينا أن نفعل لكي نكسب من (انقاص عمرنا) بدل أن نخسر بها ؟

لقد نسينا وقائع (عالم الذر) ومع نسياننا لتلك الوقائع لم نعد قادرين ، بالمقدار المطلوب ، على معرفة ما ينفعنا وما يضرنا في الدار الدنيا والدار الآخرة على حد سواء .

فلا بد إذن من يد هادئة تمتد من السماء لتعرفنا على طريق الخير والسعادة في كلا الدارين . لأن البشرية برمتها نسيت القضايا ، ولأنها بالإضافة إلى ذلك ، لا تعرف من أمر الآخرة شيئاً .

فالآخرة مصير الانسان . ولكنها غيب ، ولا يعلم الغيب الا الله .

وإذا كان الكون كله مخلوقاً بهدف ـ كما يدل على ذلك كل جزء من أجزائه ـ فلا بدّ أن يكون الانسان أيضاً مخلوقاً بهدف . فما هو الهدف من خلق الإنسان ؟

يقول الله تعالى في حديث قدسي :

: « قل لعبادي ..

« لم اخلقكم لأربح عليكم ، ولكن لتربحوا عليّ »[1]

---

(١) كلمة الله ص ـ ١٦٩ .

غير أنه لا يمكن « الربح على الله » إلا بالسير على منهاجه ، ولا يكون هذا الربح إلا في « عالم الأخرة » .

وأبت رحمة الله الا ان يكشف للانسان بوضوح عما ينفع في الآخرة وعما يضر . فارسل الأنبياء الذين جاءوا : « ليذكروا الناس بمنسي نعمته – تعالى – وليثيروا لهم دفائن العقول » كما قال الامام علي (ع) – :

وهكذا هبط علينا مائة وعشرون الف نبي ورسول ، كل واحد منهم يحمل على كتفيه تباشير السماء إلى الانسان وكل واحد منهم يكشف للانسان عن ماضيه وحاضره ، ومصيره ، ويضع له المنهاج الذي يكفل له سعادة الحاضر والمصير .

وارسال الرسل – كان ضرورياً لحياة الإنسان من جهتين:

الجهة الأولى – لاستكشاف وضعه فيما بعد الموت أي في الآخرة ، لان غير الأنبياء لا يستطيعون بأي شكل من الأشكال بيان تأثير أعمال الانسان في الدنيا على وضعه في الآخرة. فالقضية لا ترتبط بأمر قائم تحت مقاييس هذا العالم ليمكن معرفة تفاصيلها عن طريق التحليل في المختبرات ، وإنما ترتبط بأمور تحكمها مقاييس تختلف كلية عن مقاييس هذا العالم .

فعلينا اذن – أن نتعبد بكل تعاليم الانبياء بلا زيادة أو نقصان إذ لعل زيادة بسيطة أو نقصان بسيط يؤدي إلى سقطة أخروية لا يمكن القيام عنها .

إن حالة الانسان في الدنيا تشبه إلى حد بعيد حالة الجنين في رحم أمه فان كل حركة للجنين قد تؤدي إلى بروز حالات معينة في مقتبل عمره فلو افترضنا أننا اعطينا للجنين حرية العمل ، وافترضنا أنه تفهم حالته ، فانه لن يستطيع ان يعرف ماذا سيكون وضعه فيما بعد الولادة ولذلك فانه لا يستطيع أن يعرف آثار تصرفاته في رحم امه ، على وضعه بعد الولادة . وربما سيكون أول تصرف يصدر عنه انه يقوم بقلع عينيه ، لأنه لا يستطيع أن يعرف ، وهو راقد داخل ثلاث ظلمات فوائد العين . ومن ثم لا يستطيع أن يعرف آثار تعمية العين .

وكما أن الجنين لا يفهم ذلك الا عن طريق من ولد ، وعرف الأشياء والأعضاء ونوعية الحياة ، ومتطلباتها ، كذلك الانسان في الحياة الدنيا : انه لا يستطيع أن يفهم أهمية واجبات الله لانه لا يعرف نوعية ومتطلبات الحياة الاخرى . وليس عليه إذا أراد أن يكون سعيداً في تلك الحياة الا ، أن يلتزم بمنهاج الانبياء ، كلمة كلمة ، وخطوة خطوة .

إذ لو سمح الإنسان لنفسه أن ينساق وراء أهوائه ورغباته فان سيرتكب كل المحرمات ، وبذلك يخلف آثاراً سيئة على مستقبله الاخروي .

من يقول .. لعلّ ارتكاب الزنا هنا ، يؤدي - مثلا - إلى

عمى العينين في الآخرة ؟

ولعلّ ترك صلاة الصبح هنا ، يؤدي إلى العرج في الآخرة ؟

ان مقاييسنا لا تستطيع أن تكشف لنا عن آثار أعمالنا ، على الحياة الأخرى ، تماما كما أن مقاييس الجنين لا تستطيع أن تكشف له عن آثار أعماله على الحياة الدنيا .

من هنا فانا بحاجة إلى من يكشف لنا عن آثار أعمالنا في الدنيا على حياتنا في الآخرة . وهم الأنبياء .

إن الأنبياء فقط يستطيعون أن يسلطوا الأضواء الكشافة على ما نحتاج ، أو لا نحتاج اليه ، في الآخرة .

وعلينا أن نؤمن بكلمات الله التي يحملها الينا الأنبياء ، حتى وإن كانت غير واضحة لنا تماماً . لأنّ هذه الكلمات تكشف عن حقائق واقعة لا تستطيع اكتشافها نحن بوسائلنا القاصرة .

وعلينا أيضاً أن نحمل أقوال الأنبياء عن آثار اعمال الدنيا على الآخرة محمل الجدّ وليس محمل التشبيه والتمثيل .

فإذا قال الله تعالى :

« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون
« في بطونهم ناراً .

فلا بدّ أن نؤمن ان التفاحة المسروقة من مال اليتيم، تتحول إلى نار تصلي بمجرد أن يأكلها الإنسان. ولكنها نارٌ لا تحكمها مقاييس الدنيا بل مقاييس الآخرة فهي موجودة الآن، ولكنها ستحرق فقط بعد الموت.

واذا قال الامام الصادق (ع).

« من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقي الله عز وجل
« يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من
« رحمتي [1].

فلا بد أن نؤمن أنه سيكون مكتوباً بين عينيه ذلك فعلاً، وان القضية ليست قضية تمثيل وتشبيه.

ويطرح هنا سؤال وهو: « هناك كلمات مأثورة من الانبياء تفيد بأن بعض الاعمال الصغيرة لها تأثير كبير على وضعنا في الآخرة، مع أن العقل البشري لا يستطيع أن يهضم أن اثراً كبيرة كالتي ذكرت في هذه الكلمات يمكن أن تترتب على مثل تلك المعاصي الصغيرة ؟ ».

والجواب -: ان كِبَرَ حجم المعصية وصغرها في نظرنا

---

(١) الاصول من الكافي ج - ٢ ص - ٣٦٨

لا يحدد آثارها الآخروية ، لان أهمية المعصية أو لا أهميتها لا تحدد من قبل الإنسان ، فالانسان لا يعرف أثار العمل. وواضح ان اثار العمل هي التي تحدد نوعيته لا حجمه الخارجي .

ان الازرار الصغيرة قد تحمل على كتفها قوى كثيرة ـ مثلا ـ الأزرار التي ترتبط باطلاق الصواريخ ذات الرؤوس النووية فهي وإن كانت في نظرنا صغيرة ، ولكن خطرها ليس بحجم ما نرى منها ، وإنما بحجم الآثار التي تترتب عليها .

وهكذا أعمال الإنسان . إنهـــا قد تكون صغيرة في نظر بعضنا ولكن ما يترتب عليها قد تكون أموراً كثيرة وخطيرة جداً .

★

الجهة الثانية ـ لسعادة الإنسان في الدنيا .

فنحن نعيش وسط مجموعة من القوانين الكونية المنضبطة وهي قوانين اكثرها غير معلوم للإنسان . ولأنها غير معلومـــة للإنسان فإنه لا يستطيع أن يعرف مصالحه الحياتية . لان مصالحه ترتبط بشكل جذري بالروابط الطبيعية الحاكمة في الارض .

وأدل دليل على جهل الإنسان بالروابط الكونية هو كثرة ما يرتكبه من حماقات . وكثرة تراجعه من مواقعه الخاطئة ،

فلولا جهل الانسان لما كان أيّ داع للتراجع عن مواقف يبنيها بعزم وإصرار .

وإذا فوّضنا الى الانسان مهمة تشريع المناهج والخطط التي يجب السير عليها ، فما الذي يحدث ؟

يكفي أن نلقي نظرة فاحصة على ما يجري الآن في العالم كلّه من حروب، ونزاعات، وفساد عريض يلف كل جزء جزء من الأرض ولايخلو منها أي بلد من بلدان العالم سواء الصناعية منها أو البدائية . يكفي أن نلقي نظرة فاحصة على ذلك لنعرف نتائج هذا التفويض .

وإذا كان ما نشاهده اليوم نتيجة طبيعية لابتعاد الانسان بعض الشيء ، عن مناهج الأنبياء ، فكيف ستكون الصورة لو ابتعد كليّة عن هذه المناهج ؟

ان الانسان يخضع من حيث يريد أو لا يريد لمصالحه ، وشهواته ، وهو لذلك لا يستطيع أن يشرّع إلاّ وفق مصالحه الخاصة . ولهذا فإنّ المشرّعين في العالم ينحازون دائماً لجانب على حساب جانب آخر .

وبسبب ذلك يقع :

١ – التمييز العنصري

٢ – التمييز القومي

٣ – التمييز القبلي

فهل هناك بلد لا يعاني من أحد هـذه الأنواع من التميز غير الإنساني المغلّف بالقانون ؟

أمّا الأنبياء ، فانهم :

أولا – لايخضعون لأهوائهم ، لأنّهم معصومون عن الخطأ والمعصية .

وثانياً – لا يتكلمون عن هواهم الخاص ، وإنما – كما قال القرآن الكريم عن نبيّ الاسلام – : (لا ينطـق عن الهوى إن هو الاّ وحي يوحى) .

وواضح أنه ليس بين الله وبين أحد قرابة ، ولذلك فلايمكن أن تنحاز شرائع الانبياء لايّ جانب إلاّ إذا كان ذلك الجانب يستحق في الواقع هذا الانحياز على أساس :

(انّ أكرمكم عند الله أتقاكم) .

والخلاصة : انّ على الانسان أن يتبع الانبياء :

أولا – لكي يسعد في الآخرة

ثانيا – لكي يسعد في الدنيا .

فسعادة الدنيا لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق الانسجام مع السنن الكونية . ذلك لأنّ السعادة تكمن دائماً في الانسجام فكلمة : انا سعيد بزوجتي تعني : انا منسجم معها . وكلمة : انا سعيد ببلدي تعني : اذا منسجم فيها مع الآخرين .

وهكذا فإن سعادة الإنسان لا يمكن تحقيقها إلا إذا تحقق انسجام كامل بين بني الانسان وبين سنن الكون . وطبيعي أن البشرية لم تتعلم بعد سوى الشيء القليل جداً عن هذه السنن .

أمّا الله فهو خالق الكون ، وباليقين هو أعرف بما يحافظ على ترابط وانسجام الانسان مع ما في الكون من أشياء .

فمعرفة الرّوابط التي هي شرط ضروري لتحقيق السعادة من قبل النظام أمر لا يحصل إلا للانبياء .

ولهذا فإن كلمات الانبياء إنما هي كشف للروابط، وليست مجرد نظريات :

فمثلاً قول الانبياء :

« ما من عبد يسّر خيراً إلا لم تذهب الايام حتى « يظهر الله له خيراً ، وما من عبد يسّر شراً إلا لم « تذهب الايام حتى يظهر الله له شراً (١)

---

(١) الأصول من الكافي ج - ٢ ص - ٢٩٦ .

وقوله :

« إن الذنب يحرم العبد الرزق [1] .

وقوله :

« حق على الله أن لا يُعصى في دار إلا اضحاها
« للشمس حتى تطهرها [2].

هذه الأقوال هي روابط كونية يكشف عنها الأنبياء ، تماماً كما هي رابطة كونية قوله: «إذا كثر الزنا كثر موت الفجأة» فمن ترى كان يمكنه أن يعرف كل ذلك غير الله ؟.

★

ماذا يريد منا الأنبياء ؟

على ضوء ما تقدم نستطيع أن نجيب على سؤال : « ماذا يريد منا الانبياء ؟ » بما يلي :

لا شك أن الانبياء لا يريدون منا أن نطعمهم أو نكسوهم أو ندفع اليهم الضرائب . فما أقل كل ذلك بالنسبة إلى رجال السماء ، وكلما يريده هؤلاء الطيبون هو أن نصبح مثلهم طيبين، وأن نفتح عيوننا على ما ينفع وما يضر ، ونمشي على خطوط الضوء ، وليس في متاهات الظلام .

---

(١) (٢) الأصول من الكافي ج - ٢ ص - ٢٧٢ .

يقول القرآن الكريم :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

ان الانبياء يريدون أن نعود إلى رشدنا ، وان نشحذ عقولنا وان نفكر فنعمل ، وليس نعمل ثم نفكر في نتائج أعمالنا .

كل نبي جاء إلى الناس كان شعاره :

« يا قوم ..
« لا أسئلكم عليه (على الهداية) أجراً ، إن
« أجري الا على الذي فطرني (خلقني) أفلا
« تعقلون ؟ [1] .

إنهم كالأمطار الخيرة ، يهبطون علينا ، لا لشيء إلا من أجل أن تنبت أعشاب عقولنا . ولا يرجون من وراء ذلك إلا رضا الله والدار الآخرة .

وكل ما تحمله هؤلاء كان في سبيل خير الانسان ، وسعادته ، ورفاهيته في الحياتين : الدنيا والاخرى .

فما تحمله النبي يحيى عليه السلام من الذبح في طشت !

---

(١) سورة هود - ٥١ .

وما تحمله النبي زكريا عليه السلام من قطع أوصاله بالمنشار داخل شجرة ! .

وما تحمله موسى وعيسى والنبيون جميعاً ، من أذى قومهم وتعنتهم . !

وما تحمله الرسول الأعظم ، من التهم والعداء ، والتشريد حتى قال : — ما اوذي نبي بمثل ما أوذيت . !

كل ذلك إنما كان من أجلي أنا .. ومن أجلك أنت ، ومن أجل بني الأنسان جميعاً ، إذ لم تكن لهؤلاء الطيبين أية مصلحة سوى تحقيق رسالاتهم الخيرة .

فأية مصلحة يمكن ان تتصورهـــا للرسول الأعظم ، وهو يخوض غمار سبعين حرباً خلال عشر سنين . ؟

وأية مصلحة يمكن أن تكون لديه ، وهو يرفض عرض قريش السخي بتقديم ما يريد من أموال وفتيات وسلطان ويقول قولته الشهيرة :

« .. والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في
« يساري على أن أترك هذا الأمر (الرسالة)
« ما تركته . ؟

ان الأنبياء يريدون لنا السعادة . فهم يسعون جاهـــدين

لاكتساح الشقاء من على كل بقعة من الأرض. يريدون أن يعرّفوا الأنسان على ما يملك من كنوز في أعماقه ، وعلى ما يستطيع أن يفعله من خير وسعادة .

واتباعنا لهم . لا يربحهم شيئاً ولكنه سيربحنا حتماً .وهذه حقيقة لا شك فيها ...

الايمان بالانبياء جميعا

يبلغ عدد الانبياء مائة وأربعة وعشرون الف نبي ، أرسلهم الله في مناطق مختلفة ، وعلى فترات متفاوتة زمنياً .

وكان آدم عليه السلام بداية سلسلة الأنبياء ..
وكان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ـ ختام هذه السلسلة [1] ..

---

(١) بعث الرسول الأعظم : محمد بن عبدالله بن عبد مناف بن هاشم ، في عام ٦١٠ م وكان عمره يومذاك أربعون عاماً ، حين نزل عليه جبرئيل وهو يتعبد في غار حراء القريبة من مكة . وقال له ـ : إقرأ . قال النبي ـ : ما اقرأ ؟ قال ـ : إقرأ . قال ـ : ما اقرأ ؟ قال ـ : اقرأ . قال النبي ـ : ما اقرأ ولست بقارىء؟ قال جبرئيل ـ: « بسم الله الرحمن الرحيم =

وواضح ان على الانسان أن يؤمن بالأنبياء جميعاً ، وأن يعمل بتعاليمهم بلا تفرقة . وذلك لأن الانبياء هم رسل الله ، وما دام ان الله لا يمكن ان يخطأ فان على البشرية أن تتعبد بكل كلماته "ابتداءاً من التي نزلت على آدم ، وانتهاءاً بما نزلت على محمد (ص) .

« قولوا - : آمنّا بالله وما انزل الينا ، وما انزل
« إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ،
« وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون
« من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له
« مسلمون [1] .

= اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم . . . » بعدها غادر النبي غار حراء ليدعو مجتمع قريش إلى الدين الذي نزل عليه ، وكان أول عمل قام به أن هدى زوجته خديجة ، وكافله ابا طالب ، وابن عمه علياً إلى الاسلام فقبلوه عن وعي ومعرفة . ولكن لم يقبل الاسلام من قريش الا نفر قليل . ولما بدأ الاسلام يدب إلى نفوس الناس ، قاومته قريش بقوة وعنف مما اضطر النبي إلى الهجرة إلى «يثرب» (المدينة المنورة ، حالياً) ومن هناك استقر الاسلام. توفي النبي عام ١١ هجرية وكان عمره اذ ذاك ٦٣ عاماً قضى ٢٣ عاماً منها في نشر رسالة الله .

وخلال هذه الفترة نزلت عليه ٦٠٣٤٢ - آية ضمن ١١٤ - سورة .

ويبلغ عدد المسلمين اليوم ٤ مليارد نسمة موزعين في كل انحاء العالم .

(١) سورة البقرة - ١٣٦ .

ويقول ايضاً في صفات المتقين :

« .. والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من
« قبلك وبالآخرة هم يوقنون . اولئك على هدى
« من ربهم واولئك هم المفلحون [1] .

من هنا كان الأخـــذ بتعاليم آدم ونصائحه ضرورياً بنفس النسبة الذي هو ضروري الاخـــذ بتعـــاليم ونصائح نوح ، وابراهيم ، وموسى وعيسى ومحمد (ص) .

ويبرز هنا سؤال هو : لماذا أرسل الله اكثر من نبي ؟ ولماذا جاء هؤلاء الانبياء في فترات معينة من تاريخ الانسان ؟

والجواب – : ان بعث الانبياء على فترات من الزمن كان ضرورياً جداً من حيث ترقية الانسان ، ذلك لأن الرسالات كانت تفقد بمرور الزمن ، قدرتها على التفاعل مع الحياة ، ومن ثم قدرتها على تغيير المجتمعات عمـــا كانت تعتاد عليه ، بحيث كان ظهور رجال من طراز موسى ، وعيسى ، ومحمد (ص) ضرورياً من الناحية القيادية ، إلى جانب الناحية الرسالية ، لأن من دون قيادة هؤلاء المباشرة كان يستحيل احداث تغيرات جذرية في بنيات المجتمعات البشرية .

---

[1] بقرة – ٤ – ٥ .

وكان ضرورياً أن يكون هذا الطراز من انبياء ، وليس افراداً عاديين لأن الانسان العادي مهما كان عبقرياً فانه يتأثر بمجتمعه ، ويظل يحمل ، من حيث يدري أو لا يدري ، ترسبات فكرية وتقليدية من غبار المجتمع الذي ينبع منه ويتثقف فيه . بينما لا يمكن للانبياء أن يحملوا أية ترسبات ، أو يتأثروا بأية عوامل خارجية ، وذلك لاتصالهم المباشر بالله ، وعصمتهم عن الانزلاق في مهاوي المصالح والشهوات .

ولأنّ ظهور الأنبياء كان ضرورياً من الناحية القيادية ، فاننا نجد أن منعطفات التاريخ تبتدأ من انبعاث نبي من الانبياء ، وليس من ظهور ثورات اجتماعية – كما يحلو للخرافيين التشدق به – فهجرة المجتمع الإنساني من التوحش إلى التحضر ، ومن التحضّر إلى التعلّم إنما تمت بهداية مباشرة من الأنبياء ، وليس بجهود اي أفراد آخرين .

وهكذا كان من الضروري أن يأتي أكثر من نبي ليحدث على الأرض أكثر من تغيير اجتماعي وفكري..

ويبرز هنا سؤال آخر هو : إذا كان ظهور عدة آلاف من الأنبياء ضرورياً فهل كان ظهور عدة رسالات ضرورياً كذلك؟ ثم هل كان إختلاف الرسالات من بعض النواحي ضرورياً هو الآخر ؟ ولماذا . ؟

والجواب ـ : ان ظروف الانسان الخاصة عبر التاريخ ومدى نضجه العقلي هما اللذان كانا يفرضان نوعاً خاصاً من التعاليم ومقداراً معيناً من الواجبات والفرائض .

فإنسان زمان آدم ربما لم يكن قد وصل إلى نضج عقلي يسمح له أن يتفهم كل تعاليم الله ، ولذلك فان مرحلة نبوة آدم كانت مرحلة محدودة انتهت ببعث النبي الذي جاء بعده ، لأن تعاليم تلك المرحلة كانت تعاليم بدائية نوعاً ما ، تتناسب مع عقلية الانسان فيها .

وهكذا كان الأمر بالنسبة إلى النبي موسى ، والسيد المسيح ، وغيرهما من الأنبياء العظام . فان هؤلاء لم يحملوا إلى الناس كل كلمات الله وانما حملوا بعضاً منها ، لأن العقول لم تكن تتحمل أكثر من ذلك .

ونستطيع أن نشبه أدوار الإنسان ، ونسبتها إلى الرسالات بادوار الطفل وهو ينتقل في المدرسة من صف الى صف ، ومن مرحلة الى مرحلة ، حتى ينتهي به الدور الى الدراسة الجامعية .

فالإنسان البدائي ، في الزمن السحيق ، تلقى من انبياء الله الحقائق الاولية تماماً كما أن الطفل يتلقى في الصف الاول أوليات العلوم ثم كلما ارتقى إلى مدارج العقل نزلت عليه شرائع أكثر عمقاً وشمولاً حتى إذا وصل إلى مرحلة النضج العقلي نزلت عليه

شريعة الاسلام بكل عملها وشمولها ، واختتمت به الرسالات .

فالاسلام بالنسبة إلى الانسان، كالدراسة الجامعية بالنسبة إلى الطفل، يعطي الكلمة الفاصلة الاخيرة عن المناهج الضرورية لحياة الانسان ولهذا فقد انتهت الرسالات السماوية .

ويقول القرآن الكريم :

« ونزّلنا عليك الكتاب فيه تبيان كل شيء » ولم يعد بعد « تبيان كل شيء » أية حاجة إلى أية رسالة جديدة لان النضج البشري وصل من حيث العقل إلى منتهاه وبدأ تطوره من ناحية الادوات والوسائل .

يقول الرسول الاعظم ، وهو يحدّد مهمته الرسالية :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق (١) .

ويبرز هنا سؤال ثالث هو - : كيف يتم الاتصال بين النبي وبين الله ، ولماذا لا يشاهده الناس ؟

والجواب - : اننا لا نستطيع في الواقع أن ندرك حقيقة هذا الاتصال . لأن مقاييس هذا الاتصال ليست نفسها مقاييس الاتصال بيننـــا نحن البشر ، غير أننا نستطيع ، على سبيل المثـــال - إن نذكر حدوث كثير من الوقائع مع عجزنا عن

---

(١) راجع كتاب : « مكارم الاخلاق » للشيخ الطبرسي .

ادراكها . فالعلم الحديث يكشف عن وقوع حوادث كثيرة من حولنا في كل لحظة مع العلم اننا لا ندركها، واستطاع العلم أن يكشف عنها بعد أن اخترع آلات دقيقة لتسجيل بعض الأصوات مما ظهر معه وجود اصوات وأمواج ضخمة جداً حول كل فرد، مع أنه لا يسمعها .

ومن الاجهزة العلمية ما وصل التقدم فيه إلى حدّ انهـا تسجل صدام الاشعة ـ الكونية في الفضاء .

لقد اخترعت آلات كثيرة اثبتت انهـا تستطيع ادراك وتسجيل كثير جداً من الاحداث التي لا يمكننا التعرف عليها بالطرق السمعية العادية .

وهذه الطاقة غـير العادية للسماع لا تخص الآلات العلمية الحديثة وانما وهبها الله لبعض الحيوانات ايضاً . فاذا كان جهاز سماع الانسان محدوداً إلى درجة معقولة ، فان اجهزة سمـاع بعض الحيوانات تختلف كل الاختلاف عن الانسان وهكذا في الشم فالكلب مثلا يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذي مرّ من الطريق. ولهذا فقد استغل الانسان الكلاب في البحث عن المجرمين ، فالقفل الذي كسره اللص يشمه الكلب المدرّب ، ثم ينطلق مقتفياً أثر الرائحة المعينة التي وجدها عند القفل المكسور ، وفجأة نراه يمسك باللص من بين آلاف المارة .

وهناك حيوانات كثيرة أخرى ، تسمع أصواتاً تخرج عن

قدرة اسماعنا ، حتى أنه يستطيع أن يسمع ويحس الحركة التي تحدث في نصف القطر من ذرة الهيدروجين .

وكل هذا يعني أن هناك طرقاً يمكن اجراء الاتصال بواسطتها تختلف تماماً عن الطرق العادية التي يستعملها الناس .

من هنا ، فلا بد من الايمان بامكانية اتصال انسان ما على وجه الارض بخالق الكون ، وان يسمع الصوت الذي يخلقه ، من دون أن يستطيع الذين يعيشون حوله من سماعه .

إذ ما دام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات واصوات لا تسمعها آذان الانسان ، وتسجلها الآلات التي اخترعها الانسان فإن من الممكن أيضاً ان تلتقط آذان النبي بارادة الله تعالى ، أصواتاً يخلقها الله ، ولا تلتقطها الآذان الاخرى .

★

من أين نعرف النبي ؟

كما أن أية دولة عندما ترسل سفيرها إلى دولة أخرى تزوده باوراق اعتماد ، تثبت – من جهة – تمثيله لبلاده ، وتقطع من جهة أخرى – الطريق على من يدّعي الممثلية بلا استحقاق ..

كذلك الله .. عندما يرسل نبياً إلى أمة ما ، يزوده بكافة

البراهين التي تثبت ـ من جهة ـ رسالته وتقطع الطريق ـ من جهة أخرى ـ على كل من تسول له نفسه بادعاء رسالة كاذبة .

وهذه البراهين تنقسم عادة إلى قسمين :

القسم الاول ـ ما يختص بالذين يعاصرون النبي .

القسم الثاني ـ ما يعمّ المعاصرين وغيرهم .

ويتشكل القسم الاول من« المعجزات الوقتية »مثل« تبدّل العصى إلى أفعى » بيد موسى عليه السلام . و « إحياء الموتى » على يدي السيد المسيح عليه السلام و « تكلم الحصى » على كفّ الرسول الاعظم (ص) .

ويتشكل القسم الثاني » من « المعجزات التي لا تفقد معجزيتها » خلال الازمان .

وإذا لاحظنا تاريخ الانبياء نجد أن جميعهم قدّموا معاجز لامهم حتى آمنوا بهم » بالاضافة إلى أن التعاليم الرائعة التي قدموها للانسان كلها معاجز إذ يستحيل على أمثالهم أن يقدموها في تلك الازمنة السحيقة إلا إذا كانت صادرة من منابع السماء .

ولكن بصورة عامة فإن معاجز الانبياء أصبحت تاريخاً بالنسبة لنا في الوقت الحاضر » فنحن نستطيع أن نتعرف عليها» فقط عن طريق فجر صادق. إذ ليست هنالك أية معاجز حاضرة للنبي موسى » أو للنبي عيسى أو أي نبي سابق على ذلك .

وهذا أيضاً يؤكد محدودية رسالة الانبياء بصورة عامة ـ باستثناء رسالة الرسول الاعظم (ص) ـ بأزمنة خاصة.

غير أن معجزة الاسلام لا تزال موجودة ، ويستطيع أي شخص أن يتعرف عليها في أي زمان ومكان .
فما هي تلك المعجزة . ؟

قبل الاجابة على ذلك لا بد من البحث بصورة غير مفصلة عن الرسول الاعظم ورسالة الاسلام كحدث تاريخي .

تتحدث التواريخ بصورة عامة أن النبي كان معروفاً في قومه قبل إعلان الرسالة بالصدق ، واداء الامانة ، ومضت عليه أربعون سنة ، وهو مثال في هاتين الخصلتين. حتى أن كل رجل كان يقصد الخروج من مكة ، كان يدع أمواله لدى النبي ، دون رجال عشيرته . ثم أعلن الرسالة فجأة ، وبلا تعلّم من أحد .

وجاء إعلانه للرسالة كالتالي :

جمع رجال قريش حول جبل صفا قائلاً لهم :

ـ : يا بطون قريش :

ان الرائد لا يكذب أهله ، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم تصدقونني !

فأجابوا بصوت واحد ـ : نعم . . نعم .. ما جرّبنا عليك كذباً .

وأعلن رسالته . ولكنهم لم يصدقوه . .

فقدم لهم معاجز متنوعة وكثيرة ، استطاعت أن تهدي الكثيرين إلى اعتناق الاسلام .

وكان من الطبيعي جـــداً أن يقدم النبي للناس مثل تلك المعاجز بعد أن أعلن لهم بصراحة وأكثر من مرة، ان كل الانبياء كانوا يملكون معاجز خاصة بهم . فلو لم يكن يقدم لهم المعاجز لكان النـــاس يقولون له ـ : انك تقول ان كل نبي كان يملك المعجزة . فأين هي معجزتك حتى نصدق برسالتك ؟

ولكن التاريخ لا يخفل بهذا الطراز من المجابهة . وهـــذا يعني أن النبي (ص) قد قدّم لهم مثلاً معاجز خاصة ، كانت ربما اقوى من معاجز الأنبياء السابقين .

وعلى أي حال فإن آثار النبوة، وادلّة الرسالة كلها موجودة في شخص الرسول الأعظم (ص) . فأي دليل يدل على نبـــوة موسى عليه السلام ولا يدل على نبوة الرسول الأعظم ؟

وأي دليل يمكن أن يقدمه النصارى لنبوة السيد المسيح ولا نجد مثيله في الرسول الأعظم ؟

ان انكار نبوة رسول الاسلام لا يمكن ان يمر الا بانكار نبوة بقية الرسل والأنبياء على أساس أنه لو لم يكن شخص كمحمد بن عبدالله نبياً من قبل الله ، فليس هناك أي نبي على وجه الأرض .

فاذا آمنا بصورة اجمالية بأن الله قد أرسل انبياء إلى الأرض فلا بد أن نعتقد أن رسول الاسلام هو أحدهم بلا ترديد [1].

*

ولو أردنا أن نبحث في قضية نبوة « الرسول الأعظم » بشكل موضوعي فلا بد أن نعتقد فيه (ص) أحد أمور ثلاثة :

الأول ـ أن يكون سفيهاً ، أو حسب تعبير قريش مجنوناً .

ولا شك أن هذا الاحتمال ليس أقل سخفاً من احتمال أن تكون الشمس مجرد شمعة صغيرة تدور في صينية في السماء .

---

(١) يقول الدكتور ليتز : ـ انني لأجرؤ بكل أدب أن أقول ـ ان الله هو مصدر ينابيع الخير والبركات كلها لو كان يوحي إلى عباده ، فدين محمد هو دين الوحي ، ولو كانت آيات الإيثار والامانة والاعتقاد الراسخ القوي ووسائل التمييز بين الخير والشر ودفع الباطل ، هي الشاهدة على الالهام ، فرسالة محمد هي هذا الالهام . راجع :
Life of Mohammad by. Abul Fadl.

اذ كيف يكون « باني أمة » ضخمه تعيش الآن ، وبعد مرور الف وأربعمائة عام على اعلان دعوته ، كاحدى أقوى الامم وتقوم باسمها مجموعة كبيرة من الدول ، مجرد رجل مجنون ؟

ولو سمحنا لانفسنا أن نعتقد أن محمد بن عبدالله هذا ، كان سفيها أو مجنونا ، فهل يسلم أي عبقري في التاريخ من هذه التهمة ؟ .

يقول برفسور مسيحي هو : « بورسورت سميث » في الرسول الاعظم :

« عندما ألقي نظرة اجمالية استعرض فيها صفاتها
« وبطولاته ، ما كان منها في بدء نبوته ، وما
« حدث منها فيما بعد ، وعندما أرى أصحابه الذين
« نفخ فيهم روح الحياة ، وكم من البطولات
« المعجزة أحدثوا — عندما أفعل ذلك — أجده
« أقدس الناس ، وأعلاهم مرتبة ، حتى ان الانسانية
« لم تعرف له مثيلا [1].

هذا ما يقوله انسان غير مسلم ، عن الرسول الأعظم ، بعد

---

(١) راجع : « الاسلام يتحدى » .

مرور أكثر من الف سنة على وفاته ، فهل يمكن الاعتقاد بأن « الذي لم تعرف له الانسانية مثيلاً » كان مجنوناً ؟

ان ميزان التعقـــل يتعرض لنسف كلّي لو أصبح رسول الاسلام شخصاً غير عاقل ، ولن يبقى بعد ذلـك أي فرق بين العاقل والمجنون ، لو لم نقل ان العاقل يصبح هو الذي يَستحِقُ تهمة الجنون ، بينما يصبح المجنون أحد اعقل العقلاء .

الثاني – ان يكون .. كاذباً . على اعتبار أن يكون الفكر الإسلامي من إنتاج عقله وليس موحاً به من قبل السماء

وهذا الاحتمال ، كسابقه ، أبعد ما يكون عن القبول :

اولاً – لأن الرسول الأعظم أعلن عن رسالتـه بعد مرور أربعين سنة من حياة الصدق والأمانة – كما ذكرنا قبل صفحات ، وواضح أن الكاذب لا يمكن أن يصبح كاذباً بين ليلة أو ضحاها . كما أنه لا يمكن لأي كاذب ان يظل مخلصاً لكذبه إلى حد الفداء والتضحية .

.. عندما جاء إلى امبراطور الروم « هرقل » كتاب الرسول الأعظم (ص) يطلبه فيه أن يعتنق الدين الجديد ، أمر الامبراطور رجاله باحضار رجـل من قوم الرسول في ديرانه ، وكان بعض التجار من قريش يقومون برحلة تجـارية في بلاد الشام ، فجيء بهم إلى ديوان الامبراطور ، وسألهم هرقل عن اقربهم نسباً إلى

الرسول الأعظم ، فقدّم ابو سفيان نفسه اليه . وجرى بينهما حديث تاريخي هام ، جاء فيه :

هرقل : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

ابو سفيان : لا .

هرقل : هل يغدر ؟

ابو سفيان : لا . نحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها .

فقال هرقل : ليس ممكن أن يدّعي الرجل الكذب على الناس ثم يكذب على .. الله .

إن الذي لا شك فيه هو أن الرسول الأعظم كان يؤمن ايماناً كاملاً برسالته ، ولم يشك في اية لحظة بما كان يدعو اليه .

اليس هو الذي اوحى اليه الله تعالى :

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ؟ أو قال — :
« أوحي إليّ ولم يوح اليه شيء ؟ ومن قال — :
« سأنزل مثلما انزل الله ؟

« ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة
« باسطو أيديهم ، اخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون

« عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق
« وكنتم عن آياته تستكبرون [1] .

وهل يمكن بعد هذا الكلام الصارم الذي كان الرسول الأعظم يؤمن به حتماً ، أن يشك في رسالته أو يكذب فيها ؟

ثانياً – إنّ من يضمر شيئاً في قلبه ، لا بدّ أن تظهر آثاره على فلتات لسانه أو على قسمات وجهه . فالكاذب قد يستطيع أن يخفي كذبه ، في قضية واحدة ، وحالة واحدة ، وزمان محدود . أمّا أن يستطيع الكذب لمدة ٢٤ – سنة ، وفي كل الحالات : سلماً وحرباً ليلاً ونهاراً . وفي كل القضايا من دون أن يظهر عليه ذلك فانه لأمر غير معقول بالطبع .

ثالثاً – إننا نجد أن أقرب الناس إلى الرسول الأعظم ، قد آمن به بالرغم من وجود فارق كبير في السن الأمر الذي كان يمنع الشخص عادة وخاصة في المجتمع الجاهلي ، من اتباع الأصغر سناً ، ولم يكن لهم أيّ مطمع ماديّ ، لأنهم آمنوا به في الوقت الذي كان ايمانهم يكلفهم حياتهم ، فكان يُفرض عليهم أن يتجردوا عن مصالحهم الخاصة وأن يخوضوا الحروب المتتالية . بل قد كان يفرض عليهم أن يقتتلوا مع ابنائهم .

---

(١) سورة الانعام - ٩٣ .

يقول الإمام علي عليه السلام :

« ولقد كنا مع رسول الله نقتل آباءنا وأبناءنا
« وإخواننا وأعمامنا ، وما يزيدنا ذلك إلا ايماناً
« وتسليماً ومضياً على اللقم ، وصبراً على مضض
« الألم ، وجداً في جهاد العدو .

« ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان
« تصاول الفحلين ، يتخالسان انفسهما — : ايهما
« يسقي صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا
« ومرة لعدونا منا [1] .

وواضح ان المنتسبين إلى الشخص هم أعرف به من أي شخص آخر ولو كان في قضية النبي أي احتمال لكذب لما آمن به اقرباؤه الأكبر منهم سناً، في وقت كان يلزم عليهم فيه أن يقتلوا ابناءهم وآباءهم ومع ذلك فأية مصلحة يمكن أن تفترض لهؤلاء في ذلك؟

رابعاً — لو افترضنا — مع كل الأدلة المعاكسة — أن الرسول الأعظم كان كاذباً ، فما هو الداعي لهذا الكذب ؟

لا شك أن النبي لم يكن يعرف — حسب هذا الافتراض — الغيب ومن ثم فلم يكن يعرف أن الأمر سينتهي به إلى السيطرة التامة على الجزيرة العربية ، فلماذا الكذب الكبير؟ ولماذا تحمل المسؤليات والأتعاب الجسام ؟

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ — ١٠٤ .

هل كان يهدف إلى غرض مادي ؟ فلماذا رفض إذن السيادة والزعامة والأموال والنساء الفاتنات عندما عرضتها قريش عليه في مقابل السكوت عن دعوته ؟

ولماذا رفض الخضوع للإغراء المادي منذ البداية ؟

ولماذا بعد ذلك تجرد طيلة حياته من الملاذ ، وعاش حياة الزهد ، حتى انه لم يشبع من برّ قط . وكانت تمر عليه الشهور ولا توقد في بيته نار بل كان يأكل الأسودين : التمر والخل ؟ مع العلم أن المفروض أنه لم يكن يعرف نتيجة دعوته ؟

خامساً ـ لو افترضنا أن الرسول الأعظم كان كاذباً من حيث الشخص ، فلا بدّ من الايمـــان به من حيث المبادىء حتما . إذ ليس هناك أيّ شيء في مبادئه تخالف الواقع ، أو لا تتفق مع سنن الكون والحياة .

والواقع فاننا نؤمن بالاسلام ، ليس فقط لاننا نؤمن بمحمد ابن عبدالله .

وانما لاننا نجد من أعماق أنفسنا كافة الدوافع إلى الأيمان به ، وليس الرسول الأعظم الا مذكراً بما يقبع هناك .. في أعماق وجداننا تماماً كما اننا نؤمن بوجود الله ، لا لأن الرسول الأعظم يقول ذلك ، وانما لان الله موجود ، وقد عرفنا نفسه بصورة ملزمة . وكما نؤمن بالآخرة ، لا لأن الانبياء يقولون بذلك ، بل لانه من مستلزمات الأيمان بالله .

لقد قيل للامام علي عليه السلام مرة – : هل عرفت الله بمحمد ، أم عرفت محمداً بالله ؟

فأجاب – : بل عرفت محمداً بالله .

أي انه (ع) عرف الله أولاً ، وعندما وجد أن محمداً يدعو اليه عرف أنه صادق .

وهكذا فان على الانسان أن يؤمن بالأسلام ، لا لأن كل مبادئه وصلت الينا عبر الرسول الأعظم فقط ، وانما لأن هذه المبادىء تستطيع إذا ما طبقها الانسان ان تحل كافة المشاكل المعاصرة وان ترفع من قيمته إلى مدارج الخير والسعادة .

★

وإذا ثبت ان الرسول الأعظم لم يكن كاذباً ، ولا مجنوناً ، فانه يبقى هناك احتمالان لا ثالث لهما :

الأول – ان يكون ساحراً .

الثاني – ان يكون نبياً .

وواضح ان السحر لا يستطيع بأي شكل من الأشكال أن يؤسس دولة ، ويضع ثقافة ، وحضارة فكرية ، ويخلق بالأضافة إلى ذلك أمة كبيرة تمتد على جسد الكرة الأرضية ؟

هل استطاع أحد حتى الآن ان يكسب كرسياً في البرلمان عن طريق السحر ؟ أم هل استطاع أحد أن يبني بيتاً بحجرة واحدة عن طريق السحر ؟

فكيف اذن خلق النبي أكبر دولة ، وصنع أضخم امة عن طريق السحر ؟

ثم كيف امتدت آثار سحره المزعوم إلى هذا القرن؟.. وكيف لم يتنبه المليارد انسان الذين يعتنقون دينه كل هذا الوقت ، انهم مسحورون ؟

وبعد ان تبخرت كل الاحتمالات التي قد تحوم حول شخصية الرسول الأعظم ، فقد أصبح مفروضاً أن نؤمن بالاحتمال الأخير ، وهو ان يكون نبياً من قبل الله – كما هو كذلك فعلاً .

خلاصة الحديث

وخلاصة الحديث اننا نجد انفسنا بعد الف واربعمائة عام على اعلان الرسالة أمام الخيار الذي واجهته قريش ابان ذلك : إما الايمان بأن النبي كان ساحراً أو كذاباً أو مجنوناً . وإما الايمان بأنه كان نبياً .

وإذا كانت احتمالات : السحر والكذب والجنون غير معقولة بالمرة ، فلا بد من الايمان بنبوته .

★

كما ذكرنا في صفحات سابقة فان رسالة الاسلام تختلف من ناحية مدى امتدادها الزمني عن الرسالات السابقة عليها، ولذلك فان معجزة هذه الرسالة ليست - كباقي المعاجز - وقتية وانما هي موجودة على مر الازمان والعصور .

وهذه المعجزة ، التي هي القرآن الكريم ، تدل بوضوح على نبوة الرسول الاعظم ، بحيث لا تدع أي مجال للشك أو الريب فيها .

وهذا الكتاب - ذو أكثر من ستة آلاف آية - تحدى ولا يزال كل أجيال الانسان ان يأتوا بمثله ، فلم يستطع أحد خلال أربعة عشر قرناً أن يرد التحدي .

اليس يكفي دليلاً على النبوة أن يأتي رجل من البادية لا يقرأ ولا يكتب ، وينشر كتاباً لا يوجد فيه خطأ واحد ، ولا تمر القرون إلا ويكتشف فيه الانسان المزيد من الحقائق والمزيد من المعلومات الهامة ، والمزيد من السنن الكونية ثم يقول :

« .. وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا
« بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله
« ان كنتم صادقين »[1]

(١) سورة البقرة - ٢٣ .

ثم يسجل هذا التحدي في الصفحات الاولى من الكتاب ، فلا يستطيع أحد أن يتحداه حتى بمثل سورة « انا اعطيناك الكوثر » ذات السطر الواحد ؟

انّ تطور الانسان كشف حتى الآن : انه ما من كتاب صدر في زمان الا وصدر أحسن منه بعد ذلك . وهذه سنة طبيعية ترتبط بتطور الفكر البشري الذي لا يشك فيه انسان .

فلماذا أصبح القرآن يقطع عكس هذا الطريق ، بحيث لا يمر زمان الا ويكتشف الناس عمقه ، وأهميته ، ومن ثم استحالة الاتيان بمثله ؟

ولو افترضنا ان محمداً (ص) كان عبقرياً ، فاستطاع ان يأتي بما لم يأت به قومه ، فاننا سنجابه حقيقة هامة هي ان العباقرة يعتبرون عباقرة بالنظر إلى مستوى الذين يعيشون معهم . فهم عمالقة ، فقط لان الذين يعاصرونهم اقزام ، بينما الرسول الاعظم - على العكس - يزداد القاً وشموخاً كلما تقدم الناس وتعلموا. وكتابه أيضاً على العكس يزداد أهمية وعظمة كلما تقدم العلم وتعمق . وبينما يأكل الدهر على الكتب ويشرب ، فان القرآن يتجذر ، ويتعظم . ويبقى الكتاب الذي لا يبلى .

وكلما اكتشف العلم شيئاً ذكره القرآن ، أدهش العلماء :

كيف ان كتاباً بهذا العمق والشمول نزل قبل أكثر من الف عام !

وانت ..

إذا كنت تشك في أمر القرآن ، فما عليك إلا ان تكمل دراستك الجامعية وتتخصص في الادب العربي ، ثم تجلس مدة عشرين عاماً وراء الطاولة في محاولة لتأليف سورة واحدة تشبه سور القرآن .

جرّب العملية .. لتجد : أن من المستحيل أن يكون رجل أمي كان يعيش في مجتمع كان أقصى ثقافته أنه يستطيع العدإلى العشرة ، هو مؤلف القرآن العظيم .

★

وهنا قد يبرز سؤال هو ـ : ما هو موطن أهمية القرآن ؟

والجواب ـ : ليست أهمية القرآن بالطبع كامنة في بنائه البلاغي الرائع فحسب ، لان هذا البناء الادبي لا يفهمه إلا العرب فقط بينما القرآن ليس كتاباً خاصاً بأمة دون أخرى ، وإنما هي كامنة في الدرجة الاولى في تلك الحقائق الازلية التي تحتضنها آيات القرآن ، وفي ذلك الانسجام العميق بين تشريعاته والسنن الكونية الخالدة .

ومع أن القرآن كتاب هداية جاء لبناء الانسان ، وليس كتاب معلومات خارجية ، جـــاء للكشف عن أسرار الكون والحياة . فانه يحتوي في اماكن عديدة منه على حقائق كونية لم يعرفها الانـسان إلا في النصف الثاني من القرن العشرين .

وواضح ان التكلم في قضايا العلم قبل اكتشافها دليل صارخ على معجزيته الخارقة .

واليك بعض الشواهد على ذلك :

١

يقول القرآن الكريم :

« وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم [١]

تكشف هذه الآية عن قانون ظل مجهولاً أطوال قرون الانسان كلها ، واكتشفوه مؤخراً وهو قانون « التوازن » الذي يؤكد أن المادة الاقل وزناً ارتفعت على سطح الارض على حين أصبحت امكنة المادة الثقيلة خنادق هاوية ، وهي التي نراها الآن في شكل البحار . وهكذا استطاع الارتفاع والانخفاض أن يحافظ على توازن الارض .

---

(١) سورة لقمان - ١٠

٢

يقول القرآن الكريم :

« بلى .. قادرين على أن نسوّي بنانه [١]

تكشف هذه الآية عن أهمية « البنان » وهو الحامل للخطوط التي لا يشبه فيها بنان انسان بنان انسان آخر، فلكل فرد يعيش على وجه الأرض بنان خاص به ، يختلف فيه كلية عن جميع الناس .

٣

يقول القرآن الكريم :

« حرّم عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير [٢]

تكشف هذه الآية عن حقيقة هامة هي: ضرر الدم، والميتة، ولحم الخنزير على جسم الانسان . فالتحليلات التي اجريت للدم أثبتت أن الدم يحتوي على كمية كبيرة من « حمض البوليك » المصطلح عليه بـ Uric Acid ، وهي مادة سامة تضرّ بالصحة لو استعملها الانسان كغذاء . وهذا هو السر ايضاً في تحريم لحم الميتة، وتشريع طريقة خاصة في ذبح الحيوانات؛ وهذه الطريقة

---

(١) سورة القيامة ١ ـ ٢

(٢) سورة البقرة ١٧٣ .

التي توجب قطع الاوردة التي توجد في العنق حتى يخرج كل الدم من جسم الضحية لئلا يتجمد في العروق . وبهذه الطريقة يمكن الحيلولة دون تسمم اللحم تسمماً ، لان الحيوان الميت مادة حمض البوليك ، من دمه إلى اجزاء جسده ، فيصبح اللحم مسموماً كلية .

فالدم محرّم الاستعمال ؛ لاحتوائه على مادة حمض البوليك السامة والميت محرم الاستعمال ايضا ؛ لان دمه المتجمد في جسمه يسبب تسمم لحمه .

أما الخنزير فقد حرم القرآن استعماله كذلك. والآن يكشف العلم الحديث أن لحم الخنزير يحتوي على اكبر كمية من « حمض البوليك » بين سائر الحيوانات الموجودة ، فالحيوانات كلهـا تقريباً ، تفرز هذه المادة خارج الجسم عن طريق البول ، وجسم الإنسان يفرز تسعين في المائة من هذه المادة بمساعدة الكليتين بينما الخنزير لا يستطيع اخراج اكثر من ٢ ٪ من هذه المادة من جسمه ، وتصبح الكمية الباقية وهي ٩٨٪ جزءاً من لحمـه ، ولذلك يشكو الخنزير دائماً من آلام المفاصل ، والذين ياكلون لحمه يشكون هم أيضاً من هذه الآلام ومن آلام الروماتيزم .

٤

يقول القرآن الكريم :

« وما من دابة في الارض ، ولا طائر يطير بجناحيه « إلاّ أممٌ امثالكم » .

تكشف هذه الآية عن « حضارة الحيوانات » التي تشبه إلى حد بعيد حضارة الإنسان. فهي تصرح بأن الدواب (الحيوانات التي تدب على الارض) هي أمم امثال أمم الناس .

وهذا ما اثبته العلم الحديث .

أ ـ فالفيلة تعقد ـ كالإنسان تماماً ـ المحاكم للمخالفات التي تقع من بعضها ، وتصدر المحكمة بعد التثبت من شهود الإثبات حكمها العادل على الفيل المذنب بالنفي عن الجماعة ليعيش وحيداً في عزلته .

ب ـ والنمل يبني المدن ـ تماماً كما يبني الإنسان ـ ويضع النظم ، ويتعاون مع بني جنسه ، ويرعى الأبقار التي هي خنافس صغيرة يربيها في داخل الارض لفترة طويلة حتى تفقد بصرها فتظل تطيع النمل بعد أن تكبر .

وكما أن الإنسان يسخر الحيوانات لمنافعه . كذلك فإن النمل يسخر الحيوانات الاقل قوة منه لمنافعه . فبق النبات التي هي حشرة من الحشرات يعسر استئصالها ، يستعملها النمل كحيوان مسخر يدر عليه الخير والحليب !

ففي الربيع الباكر يرسل النمل « الرسل » و « الصيادين » ليجمعوا بيض هذا البق ، حتى إذا جمعت ، وضعها داخل محل خاص لتفقس على طريقة طبيعية ، وعندها تربى الصغار حسب نظام خاص للسخرة ، فإذا كبرت تقوم جماعة من النمل بحلبها

عن طريق مسها بقرونها النملاوية الصغيرة . وهذه الحشرة تنتج ٤٨ قطرة من العسل كل يوم أي بمقدار يزيد على ما تنتجه أبقار الإنسان مائة مرة ـ مع حفظ النسبة بين البقرة وهذه الحشرة ـ .

ج ـ وكما يزرع الانسان يزرع النمل ايضاً . فقد لاحظ العلماء ان النمل كثيراً ما يقوم بزرع مساحات كبيرة وعلى احسن ما يقضي به « علم الزراعة » فانه عندما تنبت بعض الاعشاب الطفيلية التي تجتمع حولها الديدان الضارة فان جماعة من النمل تقوم بازالة هذه الطفيليات ، وتطرد الديدان كما تقوم جماعة بعمليات الحراسة المشددة على المزارع .

وهكذا اثبت العلماء بعد الف عام انه « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم » كما قال القرآن الكريم ـ

٥

يقول القرآن الكريم :

« والارض بعد ذلك دحاها ..

أي بسطها بعد أن كانت كتلة واحدة .. وهذه الآية تكشف عن حقيقة ظلت مجهولة لفترة طويلة ، وهي أن الارض لم تخلق على ما هي عليه الآن ، وانما كانت مجتمعة قبل كل شيء ثم جرى بسطها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت ذات قارات متعددة

كما نشاهدها في الوقت الحاضر .

هذا ما عرفه الانسان قبل مدة وجيزة جداً .

ويستدل العالم « الفريد فيجنر » عالم الارصاد الجوية ، الالماني على ان كل الارض التي يشملها العالم كانت في وقت ما ، متصلة ببعضها تقريباً في كتلة ضخمة واحدة ، ولكنها لم تلبث ان انشطرت ، يستدل على ذلك بأن القارات يمكن أن تتشابك في بعضها تقريباً وسلاسل الجبال تستمر ممتدة ، وتوجد في مختلف القارات نفس انواع الحيوانات والنباتات .

ويبدو أن هذا الانشطار لا يزال مستمراً وقد كان من نتيجته أن انشقت جزيرة « مدغشقر » عن قارة افريقيا . وقد يحدث بعد آلاف من السنين — كما يتنبأ العلماء — ان الصومال والاقليم الواقع إلى الشرق مما يعرف باسم « وادي الاخدود الكبير » تصبح كلها جزائر [1] » .

يقول الفيلسوف الفرنسي : « الكسي لوازون » : ليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً أو المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع القرآن [2].

★

---

(١) راجع مجلة « المعرفة » ٢٤ ـ ص ٢١٣ .

(٢) « منبر الاسلام » سنة ٢٥ ، رزق ، ٦٨ ـ ١٢٦ .

ان العلماء يمضون عمراً طويلاً قد يمتد مائة عام في المختبرات والجامعات يدرسون ويتعلمون ، ثم يمضون أمداً اطول من ذلك في البحث والملاحظة والتنقيب حتى يهتدون – بالمعاونة مع عشرات الاجهزة الحديثة – إلى بعض اسرار الآيات القرآنية فهل من المعقول أن يكون كل القرآن – الذي لم يكتشفه العلم الحديث بصورة كلية بعد – من صنع فكر انسان امّي ولد في الجزيرة العربية ومات فيها قبل اكثر من الف عام ؟

كل ذلك .. بالاضافة إلى ما في القرآن من تشريعات ونظم، ومبادىء لا يمكن للانسان أن يسعد في الحياة الا بالاخذ بها .. فأي عقل يمكن أن يصدّق ان ذلك كله من نتاج فكر عتيق نبت في جزيرة العرب القاحلة عن الفكر ؟.

اي عقل ؟

يقول الامام علي عليه السلام وهو يصف مبعث الرسول الاعظم ، والقرآن – :

« ... فبعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج
« عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته ، ومن طاعة
« الشيطان إلى طاعته بقرآن قد بيّنه واحكمه
« (اتقن صنعه) ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه ،
« وليقرّوا به إذ جحدوه (انكروه) وليثبتوه
« بعد اذ انكروه . فتجلى (الله) سبحانه لهم في

« كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من
« قدرته وخوفهم من سطوته [1]

ويقول ايضاً — :

« أرسله (أرسل النبي محمد ص) على حين فترة من
« الرسل .

« وطول هجعة من الأمم وانتقاض من المبرم (نقض
« المعاهدات الرسالية) فجاءهم بتصديق الذي بين
« يديه ، والنور المقتدى بـه ، ذلك القرآن
« فاستنطقوه ، ولن ينطق .

« ولكن اخبركم عنه : الا أن فيه علم مـا يأتي ،
« والحديث عن الماضي ، ودواء دائكم ، ونظم ما
« بينكم [2]

ويقول ايضاً — :

« أعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ،
« والهادي الذي لا يضل ، والمحدث الذي لا يكذب
« وما جالس هذا القرآن أحـدٌ إلا قام عنه بزيادة
« أو نقصان : زيادة في هدى ، أو نقصان في عمى .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٣٠
(٢) المصدر ج ـ ٢ ص ـ ٥٤

« وأعلموا .. انه ليس على أحد بعد القرآن من
« فاقة ، ولا لاحد قبل القرآن من غنى ، فاستشفوه
« من ادوائكم ، واستعينوا به على لأوائكم (شدائدكم)
« فإن فيه شفاءاً من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق
« والغي والضلال [1] .

(١) المصدر ج - ٢ ص ٩١ .

ظاء ..

الأئمة قيادة السماء للأرض

الحاجة إلى النبي ، ليست بسبب الحاجة إلى الرسالة ، لان الرسالة ضرورية كتشريع وكنظام وكمنهاج . بينما الحاجة إلى النبي هي الحاجة إلى قيادة تقوم بتطبيق التشريع والنظام والمنهاج .

ومن هنا .. فإن الله لم يرسل رسالة الا على يدي رسول ، فلم يكتف مثلاً بانزال كتاب سماوي عن طريق ما على أية أمة في التاريخ ، في الوقت الذي اكتفى في مناسبات وازمان عديدة بارسال الانبياء من دون رسالات .

وهذا يعني أن وجود النبي ضرورة ، إلى جنب وجود الرسالة ، وليس بسبب وجود الرسالة . لان وجود النبي يعني وجود « قيادة » أما وجود الرسالة فيعني مجرد وجود « المبدء » .

وإذا كانت الرسالات قد انتهت بعد نزول آخر كلمة للسماء وهي كلمة الإسلام ، وبذلك انتهى عهد الرسل أيضاً ، فهل انتهت الحاجة إلى القيادة لتطبيق شرائع الإسلام ؟

ليس هناك من يستطيع القول أن البشرية لم تعد بحاجة إلى قيادة حكيمة تنبع تنظيماتها من ذات الرسالات السماوية لتستطيع تطبيقها على بني الانسان ، لان الانسان هو الانسان لم يتغير فيه شيء منذ آلاف الأعوام ، الا ان غرائزه شحذت بشكل رهيب ، فاصبحت حاجته إلى القيادة السماوية اليوم أكثر من حاجته يوم بعث الأنبياء .

فهل من انبياء في الوقت الحاضر . ؟

طبعاً . . لا .

لان الانبياء جاؤوا لتبليغ الرسالات ، وقد قررت ارادة الله انهاء الرسالات والرسل معاً . ولكن ليس من المعقول انهاء القيادات الرسالية أيضاً ، بل لا بد من وجود قيادات من هذا النوع يُعين خطوطها العامة والخاصة : آخر الرسالات ، وتعين الأشخاص الذين سيتحملون تلك القيادات تعييناً مباشراً كما كانت تعين الرسل .

هذا هو جوهر القضية التي تسمى بـ « الخلافة الاسلامية » أو « الإمامة » .

ومن الواضح ان من غير المعقول ان يهمل الله الانسان في عصور ما بعد الرسالات ، ولا يعين له القيادة بالأشخاص والهويات

بعد أن افادت كل تجاربه ان مجـــرد وجود الرسالة بين يديه لا يكفي لانقاذه من السقوط في هوى الضياع والتمزق .

اذن .. فلا بد من قيادة تفرض على الانسان من فوق ليجد دافعاً ذاتياً للانصياع لها، تماماً كما لا بد له من شريعة تفرض عليه من فوق ليجد مثل ذلك الدافع .

اذ لو جاز لنا ان نختار القيادات لتحمل مسؤولياتها الرسالية : فلماذا لا يجوز لنا أن نختار الأنبياء أيضاً ، بدل ان يختارهم الله ؟ وأي فرق بين النبي والامام ؟

إن قضية الامامة ليست قضية هينة ليخولها الله إلى الانسان ، بكل ما فيه من غرائز وميول واتجاهات، لان لها التأثير الاكبر على الرسالة ، وما دام ان الله يريد تطبيق الرسالة فلا بد ان يوفر كافة الظروف المؤدية إلى ذلـــك ، والأهم من كل شيء هنا هو بالطبع تعيين القيادة .

فمن دون قيادة رسالية لا يمكن تطبيق الرسالة .

فاذا كان الله يريد تطبيق الرسالة ، فلا بد من تعيين القيادة الرسالية .

من هنا فاننا نعتقد ان الله لم يترك الأرض في أية لحظة من لحظات عمرها الطويل من دون « حجة » أي من دون قيادة

إلهية ، وانه تعالى لم يكتف بمجرد وجود الرسالة بين الناس .

يقول الله في حديث قدسي - :

« .. إني لم أترك الأرض الا وفيها عالم تعرف به
« طاعتي وهداي ، ويكون نجاة فيما بين قبض النبي
« إلى خروج النبي الآخر ، ولم أكن أترك ابليس
« يضل الناس وليس في الأرض حجة لي وداع الي ،
« وهاد إلى سبيلي ، وعارف بأمري ، واني قضيت
« لكل قوم هادياً أهدي به السعداء ويكون حجة
« لي على الاشقياء [1]

وإذا كان الله لا يترك الأرض إلا وفيها عالم تعرف به طاعته وهداه ما بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر ، فإن من الطبيعي انه تعالى لم يترك الارض هذه المرة ايضاً من هذا الطراز من « العلماء » الذين يعني بهم الله « القيادات الرسالية » خاصة وان غياب النبي كان أبدياً هذه المرة وليس موقتاً .

وأما الأدلة التي يمكن عرضها في هذه العجالة ، في قضية الامامة فهي :

---

(١) « كلمة الله » ص ١٠٣

واحد) اننا نجد أن كل مسؤل مهما كان حجم مسؤليته لا ينيب مهما كانت فترة غيابه قصيرة الا ان يعيّن خلفاً له ـ

لماذا ..؟ لأنه يعرف أن ترك موقعه فارغاً يعني احداث فوضى ونزاعات لا تؤمن عواقبها .

والقضية ليست خاصة بفئة دون أخرى ، فحتى صاحب الحانوت الصغير الذي لا تبلغ قيمة كل محتوياته عشرة دنانير فقط إذا أراد الخروج لفترة نصف ساعة ليس أكثر فانه يعين خلفاً في محله ليقوم بمهام عمله . وإذا لم يجد من يعينه لذلك فانه سيطلب من جاره أن يتحمل مسؤلية حانوته .

فإذا كان صاحب حانوت صغير ، يريد الغياب لفترة قصيرة يعرف ـ بارشاد من عقله ـ ان عليه أن يعين خلفاً له ، إذا كان يريد أن يجد حانوته ـ عند الرجوع ـ على حالتها الطبيعية ، فهل من المعقول ان يترك النبي وهو يخلّف ورائه امة كاملة ودولة قائمة من يقود الامة في الوقت الذي كان يتركها حتى الابد .

الطفل الصغير الذي لا يتجاوز عمره الثانية أعوام عندما يترك كتبه في الغرفة لقضاء حاجته لا تستغرق سوى لحظات يقول لأمه : ماما ضعي بالك عند كتبي حتى لا يمزقها أخي

الصغير ، وبذلك تخلّف أمه على كتبه ، فكيف يمكن لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يترك « كتاب الله » والامة التي ضحى بكل حياته في سبيل تربيتها وتنشأتها من دون أن يخلّف عليهم احداً .؟

ولو نظرنا إلى المسألة من زاوية معالجات الانسان المعاصرة فاننا نجد ان كل ملك أو رئيس جمهورية يعين قبل أن يفكر في الموت في الشخص الذي سيخلفه ، ليس للمحافظة على سيادة أقربائه . وإنما للمحافظة على النظام الذي يحكم تحت ظلّه .

وإذا كان هذا العمل عقلانياً ١٠٠٪ افلا يعني أن تعكيس القضية يعتبر عملاً عشوائياً ؟ ثم هل يعقل ان يرتكب الرسول الاعظم عملاً عشوائياً وهو المعصوم عن الأخطاء ؟!.

*

إثنين) ان الاسلام دين كامل بدليل قول الله تعالى :

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي « ورضيت لكم الاسلام ديناً (١) .

---

(١) القرآن ـ سورة المائدة .

ومعنى ذلك انه تطرق بالتفصيل لكل جوانب الانسان والحياة . ولا يعقل بعد ذلك ان يكون قد أهمل أعظم مشكلة تواجه مجتمعات الانسان وهي مشكلة « القيادة » وكيف يجب ان تكون ؟

فهل من الممكن للاسلام الذي يصدر ما لا يقل عن ١٠ .. احكام في موضوع « تنظيف الأسنان » فقط ، أن يهمل قضية القيادة ؟

إن الأسلام دين « مبدئي » يقوم على أساس من « قيم » ومبادىء معينة ، وليس على أساس الهوى والمزاج ، فلا بد إذن أن تكون قيادته أيضاً منبثقة عن تلك القيم والمبادىء من دون أن تكون متروكة لأهواء الناس ورغباتهم ، لأن ذلك سيفقده أهم ميزاته ، وهي مبدئيته .

ونحن نجد ان أي دستور تضعه أية فئة في أية بلاد يتطرق أول ما يتطرق لقضية القيادة ، ونوعيته ، ومؤهلات القائد وواجباته ، وقضايا الأدارة . الخ فكيف يمكن للأسلام كصاحب مبدء ، وصاحب دستور خاص في الحياة أن يهمل هذا الجانب الحيوي والهام إهمالاً كلياً ؟

ثالثة) إذا قلنا إن الاسلام خوّل سلطة تعيين القيادة بعد الرسول إلى الناس ، فإننا سنجابه ثلاث مشاكل هي :

أولاً : ـ إننا نجد أن رجال المجتمع هم أكثر جهالة من معرفة ما يضرهم وما ينفعهم ، لان المجتمع ـ اى مجتمع ـ إذا نظرنا اليه ككل نجد أنه لا يتمتع بالعلم والوعي والخبرة بالمقدار اللازم ، وهي أمور لا بد منها في تنظيم القيادة .

ثانياً ـ إننا نجد أن معنى تخويل القضية إلى المجتمع هو تركها على زورق الأهواء الأمر الذي قد يجر المجتمع إلى إرتكاب اكبر الجرائم ، بسبب انتخاب اشخاص غير صالحين للقيادة . ذلك لان التخويل إذا كان للاكثرية فلن يتعدى الامر لعبة الانتخابات التي تجري حالياً في كل الدول الديمقراطية ، ويعاني منها كل الناس بلا استثناء ، وإذا كان للاقلية فالامر اكثر اثارة للدهشة إذ كيف يمكن التخويل للاقلية لكي تحكم في مصير الاكثرية .

بالاضافة إلى أن المجتمع بحكم تكوينـــه من أفراد يخضعون للاعتبارات المصلحية والشهوية قد ينتخبون ـ كما ينتخبون فعلا في كثير من البـــلاد ـ من يوافق وشهواتهم ، وليس من يوافق ومصالحهم .

ثالثاً ـ إننا نجد أن قيادة الاجماع الناقص ، أو الانتخاب ـ حسب التعبير الحديث ـ مخالفة كلية لجذور الاسلام الفكرية التي

تقوم على اساس أن الله هو مصدر التشريع وأن دين الله لا يميل مع هوى اية مجموعة من الناس . وأن الحاكمية هى أولاً وأخيراً لله ، ولا تمتد إلى اى رجل الا إذا خوله الله بذلك .

رابعاً ـ إننا نجد ان هذه القيادة اسفرت تاريخياً عن اسوإ النتائج حيث : نربـع ـ بالاعتماد عليها ـ رجال امثال يزيد بن معاوية، والحجاج بن يوسف الثقفي وما شابه ، على مسافد الحكم ونحن نربأ بالاسلام ان يرتضي خلافة تكون عاقبته هكذا .

★

أربعة) إن الاحداث التى تعقبت موت النبي من خـــلاف عريض بين الامة ، ومن الدماء الغزيرة التى أريقت هنا وهناك كشفت عن حاجة ملحة إلى التعيين فهل كان النبي يعرف ذلك أم لا يعرف ؟ إذا كان يعرف فكيف رضي بذلـــك ؟ وإذا لم يكن يعرف فكيف كان نبياً ؟

من هنا فان علينا أن نؤمن بأن للأسلام قيادة منتزعة من صميم مبادئه .

فان طبيعة الاسلام هي الإيمان والطاعة لأنـــه دين نزل من السماء بلا إرادة من الإنسان ، فلا بد أن تكون قيادته منتزعة

من إرادة السماء بلا إرادة من الانسان .

فما هي تلك القيادة ؟

يحدّدها الرسول الأعظم تحديداً دقيقاً وتاماً في نصوص متواترة يرويها المسلمون بلا استثناء .

وقبل أن نستعرض بعض تلك النصوص لا بأس بذكر مواصفات « الإمامة » (القيادة) كما وردت على لسان أحدالائمة وهو الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام .

« الامامة : خلافة الله وخلافة رسول الله والامام :
« أمين الله في خلقه ، وحجته على عباده، وخليفته
« في بلاده ، والداعي الى الله ، والذاب عن حريم
« الله (المدافع عن قدسية مبادىء الله).
« وهو يحلل حلال الله ، ويحرّم حرام الله ويقيم
« حدود الله (احكام الاسلام) ويذب عن دين الله
« (يدافع عن الاسلام) ويدعو الى سبيل الله
« بالحكمة والموعظة الحسنة .

وعلى هذا الاساس فيشترط في الامام شرطان هما :

١ ـ العلم الكامل بالشريعة .

٢ ـ العصمة عن الخطأ والانحراف .

لان الامام إذا كان قدوة للناس بحكم إمامته ، وكان مسؤلاً عن نشر الشريعة الاسلامية ، فان من الواضح اشتراط أن يكون عالماً بالشريعة علماً كاملاً ليستطيع تطبيقه على نفسه أولاً حتى يكون قدوة ، وليستطيع نشره كما هو في الواقع ، وليس كما تملي عليه أهوائه[1]

هذا بالنسبة إلى الشرط الأول ، وأما بالنسبة إلى الشرط الثاني فان من الواضح أيضاً ان الامامة التي تعني تحمل مسؤلية قيادة أمة ديناً ودنياً لا يجوز أن تستند إلى من لا تتوفر فيه العصمة الكاملة لان من دون العصمة لا يمكن منح الثقة للامام من قبل الناس ، ومن ثم لا يمكن اسلاس القياد له خاصة وان الامام لابد ان يكون « مقتدى » في كل أعماله وأقواله وحتى في صمته ونطقه ، وهذا يعني ضرورة التزامه الكلي والشامل بكافة مبادىء الدين بلا استثناء .

ولكن . من الذي يستطيع أن يكشف لنا عن « العالم بكل الدين » و « المعصوم ـ في نفس الوقت ـ عن كل الأخطاء » ؟

---

(١) يقول الله تعالى : « افمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون ؟ » وهذا يعني ان الاقتداء بمن لا يعرف الحق ويحتاج إلى التعريف به غير جائز ، بل مجرد الايمان بأن من الجائز الاقتداء بالجاهل بالدين هو حكم غير صحيح : « فما لكم كيف تحكمون » .

لا أحد سوى الله تعالى ، ضرورة أن مجرد الادعاء بالعلم الكامل بالدين ، والعصمة عن الخطأ لا يمكن أن يقبل ، بل لا بد من « إخبار سماوي » عنها ، وهذا ما أخبره الله صراحة عندما قال عن أهل البيت :

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
« ويطهركم تطهيرا .

وأخبره أيضاً الرسول الاعظم الذي « لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحيٌ يوحى » عندما قال : « الخلفاء من بعدي إثنا عشر كلهم من قريش » ثم ذكرهم واحداً بعد واحد كالتالي :

١ — الامام علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين) (ع)
٢ — الامام الحسن بن علي (المجتبى) (ع)
٣ — الامام الحسين بن علي (الشهيد) (ع)
٤ — الامام علي بن الحسين (زين العابدين) (ع)
٥ — الامام محمد بن علي (الباقر) (ع)
٦ — الامام جعفر بن محمد (الصادق) (ع) .
٧ — الامام موسى بن جعفر (الكاظم) (ع)
٨ — الامام علي بن موسى (الرضا) (ع)

٩ – الامام محمد بن علي (الجواد) (ع)

١٠ – الامام علي بن محمد (الهادي) (ع)

١١ – الامام الحسن بن علي (العسكري) (ع)

١٢ – الامام محمد بن الحسن (المهدي) (ع)

وقد أخبر الرسول الأعظم ان الامام المهدي سيقوم بتطبيق النظام والشريعة الاسلامية على الأرض كلها ، وبذلك يحقق حلم الانسان في تحقيق الخير والعدل والحرية .

بالاضافة إلى النصوص الخاصة بالإمام علي عليه السلام ، مثل الحديث الصحيح الذي يقول – ان موسى وعيسى قد بشرا بمحمد كما بشرت الأنبياء بعضهم ببعض ، حتى بلغت محمداً فلما قضى محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبوته واستكمل أيامه أوحى الله اليه :

« يا محمد قد قضيت نبوتك ، واستكملت ايامك
« فاجعل العلم الذي عندك ، والايمان ، والاسم
« الاكبر ، وميراث العلم ، وآثار علم النبوة ، في أهل
« بيتك ، عند علي بن ابي طالب ، فاني لن أقطع
« العلم والايمان والأسم الأكبر وميراث العلم وآثار
« علم النبوة من العقب من ذريتك ، كما لم أقطعها
« من بيوتات الانبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك

« آدم [1] ».

يقول الرسول الاعظم :

« اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي »
« لن تضلوا ان تبعتموهما فلا تقدموهما فتهلكوا »
« ولا تقصروا عنهما فتهلكوا » ولا تعلموهم [لا
« تحاولوا ان تفرضوا عليهم آرائكم] فانهم أعلم
« منكم [2] »

ويقول أيضاً :

« انما أنا بشر ويوشك أن يأتي رسول ربي [ملك
« الموت] فأجيب » وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما
« كتاب الله فيه الهدى والنور » وأهل بيتي [3].

وهناك أحاديث كلهـــا تؤكد « إمامة » الامام علي عليه السلام بعد نبوة الرسول الأعظم » وتشرّع بذلك نظاماً منبثقاً من صميم الاسلام في القيادة .

آ ــ مثل الحديث الذي رواه أكثر من سبعين حافظاً من

---

(١) « كلمة الله » ص ـ ١٠٦ ـ ١٠٧
(٢) فضائل آل الرسول « نقلا عن الصواعق المحرقة » .
(٣) صحيح مسلم ـ القسم الثاني ج ٢ ـ ص ١٠٩ طبعة عام ١٣٤٨ .

حفاظ المسلمين وجاء فيه أن النبي (ص) قال لعلي عليه السلام :

« انت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا
« نبيّ بعدي .

ب - ومثل حديث الغدير الذي رواه مائة وعشرون من الصحابة بما فيهم « الخلفاء » وخلاصته أن النبي عندما كان راجعاً من آخر حجة له ، نزل عليه الوحي قائلاً - : يا أيها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لايهدي القوم الكافرين[1] فأمر النبي أن يقف المسلمون وعددهم مائة وعشرون الف رجل في موقع يقال له غديرخم ، وصنع من أكوار الابل منبراً ، صعد عليه ، واخذ بيد الامام علي (ع) ورفعها حتى بان بياض ابطيهما ثم قال بعد كلام طويل ..

« أيها الناس .. ليبلغ الحاضر الغائب : من كنت
« مولاه فهذا عليٌ مولاه .

وأضاف :

« اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه ، وانصر

---

(١) المائدة - ٦٧ .

« من نصره ، واخذل من خذله .

ثم أمر المسلمين أن يبايعوا الامام بصفته: «امير المؤمنين» . وقال عمر قولته الشهيرة :

« بخ ، بخ لك يا علي اصبحت مولاي ومولا كل « مؤمن ومؤمنة [1].

ج ـ ومثل حديث يوم الانذار الذي يرويـــه كل مؤرخي الاسلام وخلاصته ان الرسول (ص) صنع طعاماً لعشيرته ، قبل ان ينتشر دعوته ، ودعا اليها كل أقربائه ، وعندما اطعموا قام ودعاهم إلى الاسلام ، وطلب منهم المساعدة ، فلم يتكلم منهم الا الامام علي عليه السلام ، فقال الرسول وقد وضع يده على كتف الامام قائلا :

« هـــذا اخي ووزيري ووارث الأمر من بعدي « فاسمعوا له واطيعوا .

د ـ ومثل الأحاديث التي تفسر الآية الكريمة :

« انما وليكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا الذين

---

(١) للمزيد من التفاصيل راجع كتاب: « الغدير » للمرحوم العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني .

« يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون »[1] .

فقد أجمع المفسرون انهـــا نزلت في الامام علي (ع) الذي تصدّق بخاتمه وهو راكع. وبحكم هذه الآية فان الرسول إذا مات تكون القيادة للذين آمنوا « الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون » والمقصود هو الامام علي (ع) دون غيره .

*

بالاضافة إلى أن شرط الأمامة : العلم المطلق بالدين. والعصمة من الخطأ . قد توفرا في الامام دون غيره آنذاك .

آ ـ في ناحية علمه لا يشك احد في أنه كان اعلم الناس بعد رسول الله فقد علّمه الرسول في جلسة واحدة الف باب ينفتح من كل باب الف باب ، كما يصرّح بذلك الامام نفسه .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« انا مدينة العلم وعلي بابها

---

(١) المائدة ـ ٥٥ .

ويقول :

« اقضاكم علي .

ويقول :

« علي مع الحق والحق مع علي ، يدور معه حيثما
« دار .

وقد اعترف بذلك كل من ابو بكر وعمر حينما قالا ـ اكثر من مرة :

« لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن .

ب ـ ومن ناحية عصمته ، يقول القرآن الكريم :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهـــل البيت
« ويطهركم تطهيراً [1] .

ويقول الرسول الأعظم :

« ان علياً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي [2] .

ويقول مخاطباً الامام (ع) :

« انت مني وأنا منك .

---

(١) سورة الاحزاب ـ ٣٣ .
(٢) اخرجه الترمذي والحاكم .

وهل يكون غير المعصوم « من » المعصوم ، وبالعكس ؟

*

.. في قضية شهيرة جمع الخليفة العباسي « المأمون » أربعين عالماً من الذين يحسنون الجواب في جلسة خاصة وقال لهم :

اني ادين الله عز وجل بأن امير المؤمنين علي بن ابي طالب هو خير الخلق بعد رسول الله ، وأولى الناس ، وأحقهم من بعده بالخلافة . فماذا تقولون ؟

فانبرى له أعلمهم وهو « اسحق بن حمـــاد » وجثا على ركبتيه وقال :

لسنا نعرف ما ذكرت من أمر علي ، وقد دعوتنا للمناظرة ونحن مناظروك على ذلك .

فقال المأمون ـ : تسألني أو أسألك ؟

قال ـ : انا اسألك .

قال المأمون ـ : سل ما شئت .

قال اسحق : أين دليلك على دعواك

قال المأمون : بأي شيء يتفاضل بعض الناس على بعض ؟

قال اسحق : بالأعمال الصالحة .

قال المأمون : لو افترض أن شخصاً كان أفضل من صاحبه في عهد رسول الله (ص) لأن عمله أجل وأعظم، ثم أراد المفضول أن يلحق به ، فعمل وأكثر من الخير بعد عهد الرسول ، فهل يستطيع اللحاق بالفاضل ؟

قال اسحق : كلا . ان الأفضل في عهد الرسول لا يُلحق به ابداً .

فقال المأمون : إنّ اصحابك الذين أخذت دينك عنهم وجعلتهم قدوة لك ، قد ردوا لعلي فضائل ، فانسب هذه الفضائل التي يسلّم بها اصحابك الى فضائل غيره (قارن بينها) فان رايت أنها تشبه فضائل علي عليه السلام ولو من بعيد ، فقل بأن غيره خير منه وأفضل .

وأضاف : والآن .. اخبرني يا أسحق ! أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله محمداً (ص) ولم يكن معه أحد ؟

أجاب اسحق : الاخلاص بالشهادة ، والسبق الى الاسلام .

قال المأمون : هل علمت أن أحداً سبق علياً إلى الاسلام ؟

قال اسحق : أجل . إن علياً سبق الى الاسلام ، ولكن

عندما أسلم كان حدثاً صغير السن ، واسلم غيره من بعده على البلوغ بعد أن تكامل عقله .

قال المأمون : أخبرني هل أسلم عليٌّ عليه السلام من تلقاء نفسه ، أو دعاه الرسول إلى الاسلام ؟

قال اسحق : بل دعاه الرسول .

قال المأمون : هل كانت دعوة الرسول لعلي بأمر من الله ، أو فعلها الرسول دون أمر الله ؟

قال اسحق : حاشا الرسول أن يفعـــل شيئاً إلا بأمر الله ومرضاته « وما ينطق عن الهوى. إنْ هو إلاّ وحيٌ يُوحى».

فقال المأمون : لقد أمر الى نبيّه أن يدعو علياً للاسلام ، وهو يعلم أنه صبي ، فدعاه الرسول امتثالاً لمرضاة الله سبحانه ، ولم يدع احداً سواه من الصبيان ، لأن الله لم يأمره بدعوتهم إلى ذلك ، لعلمه بأن الصبي لا يؤتمن على الدين ، فقد يؤمن الساعة ثم يرتد بعدها تلبية لطلب أهله أو غيرهم .

إذن . فقد اختار الله علياً بدعوة الاسلام من بين الصبيان ليبيّن فضله على الناس أجمعين كي يعرفوا مكانته لديه ، وأن

هذه فضيلة لم يشاركه بها أحد . وأنه عليه السلام لم يشرك بربه طرفة عين .

فسكت اسحق ولم يجب .

وعاد المأمون يسأله : أي الأعمال كان أفضل بعد السبق إلى الاسلام ؟

قال اسحق : الجهاد في سبيل الله .

قال المأمون : صدقت . فهل تجد لأحد من الجهاد ما كان لعلي ؟ » وأضاف : « وكم كانوا قتلى يوم بدر ، وهو أول فتح للأسلام ؟

قال اسحق : كانوا نيفاً وستين رجلاً من المشركين .

قال المأمون « كم قتل علىٌ منهم ؟

قال اسحق : نيفاً وعشرين رجلاً ، وأربعون لسائر الناس.

قال المأمون : يكفي يوم بدر شاهدا على أن جهاد علي كان فوق كل جهاد .

ثم قال : اسألك يا اسحق عن حديث : « أنت مني بمنزلة

هارون من موسى » . هل ترويه ؟

قال : نعم ، أرويه من عدة طرق .

قال المأمون : إن هارون كان أخا موسى لأبيه وأمه وكان نبياً ، وعلي ليس نبياً ، ولا أخاً للنبي ، فما معنى قوله : « بمنزلة هارون .. » ؟.

— .... (فسكت اسحق)

قال المأمون : إن معنى الحديث في القرآن ، فالله أخبر عن موسى أنه قال لأخيه : أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ، وهكذا أراد النبي (ص) أن يكون علي (ع) خليفته في قومه ، وأن يصلح لهم أمور دينهم ودنياهم ولا يتبع أهوائهم.

فقال اسحق : إن موسى استخلف هارون موقتاً حتى يعود من مناجاة ربه ، وكذلك استخلف محمد علياً (ع) على المدينة حتى يعود من غزوته .

قال المأمون : إن علياً عليه السلام يجب أن يكون خليفة في قوم النبي (ص) كما كان هارون خليفة في قوم موسى بدليل قول النبي : « .. إلا أنه لا نبي بعدي » لأن ذلك يعني أن محمداً قد استخلف علياً في كل شيء إلا في النبوة ، لأنه كان خاتم

النبيين ، وما كان قول النبي ليبطل أبداً » .

وحار اسحق في الجواب واعترف الحاضرون بصحة كلام المأمون [1] .

---

(١) كتاب « بحار الانوار » ج ـ من كتاب الايمان .

رأك ٥٥

أئمّة آلِ البيت (ع)!

في استعراض خاطف وسريع لحياة أئمة المسلمين الذين صرح بهم الرسول الأعظم ، نكتشف سر تخويل الله لأمور القيادة لهم . فهم كالأنبياء متجردون من الذاتيات ، يهبطون كالأمطار الخيّرة لا يريدون من الناس جزاءاً ولا شكوراً .

أقوياء جداً في نصرة الله . لا يخافون في سبيله لومة لائم .

صابرون جداً على تحمل الألم في سبيل الحق والعدل .

انهم أنصار الله فقط . والدنيا عندهم أقل من النعل الا إذا اقاموا حقاً أو ادحضوا باطلاً .

ولهذا كان كلامهم نوراً ، وامرهم رشداً ووصيتهم التقوى ، وفعلهم الخير ، وعادتهم الاحسان ، وسجيتهم الكرم ، وشأنهم الحق والصدق والرفق . — كما جاء في زيارة الجامعة .

واليكم فيما يلي مقتطفات من حياة كل امام كما جاء في التاريخ الصحيح .

الامام امير المؤمنين (ع)

١ ـ هو علي بن ابي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم .

٢ ـ ولد في بيت الله الحرام داخل الكعبة ١٣ ـ رجب بعد ثلاثين سنة من عام الفيل الذي ولد فيه الرسول الأعظم واستشهد في بيت الله داخل محراب مسجد الكوفة سنة ـ ٤٠ هجرية قتيلاً على يد عبدالرحمن بن ملجم في مؤامرة الخوارج الشهيرة التي دبروها لتصفية خصومهم .

٣ ـ تزوج ابنة الرسول الأعظم وعزيزته : فاطمة الزهراء سلام الله عليها وكان الرسول يقول :

«لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ [عديل في العظمة]».

٤ ـ صرح الرسول الأعظم بخلافته في مواطن غير محصورة ولكنه لم يتسلم القيادة الا بعد مقتل عثمان بن عفان عام ـ ٣٥ هجرية ، بعد أن مزقت الأمة الاسلامية وشرشحتها فكرياً وحضارياً ونفسياً .

٥ ـ مُنع عن ممارسة سلطاته المشروعة خلال ربع قرن وخسرت الانسانية بذلك الشيء الكثير .

٦ ـ تعتبر حياته ، حياة قيادية يجب على كل مسلم تقمصها بشكل كامل ، وبالمقدار المستطاع .

٧ ـ على الصعيد التاريخي قام بما يلي :

أولاً ـ عزل ولاة عثمان الذين وصلوا إلى مراكزهم على أساس القرابة النسبية والسببية ، وليس على أساس الكفاءات اللازمة وحاسبهم حساباً عادلاً حسب مخالفاتهم المختلفة .

ثانياً ـ الغى نظام توزيع الأموال الخراجية الذي استحدثه « الخلفاء » السابقون عليه ، لانه كان يقوم على اساس من عدم المساواة ، وأعاده إلى وضعه الذي كان في عهد النبي (ص) .

ثالثاً ـ استرجع كافة الاراضي التي وزعت من ذي قبل بلا إستحقاق .

رابعاً ـ نقّى المفاهيم المدخولة على الاسلام بعد وفاة الرسول الأعظم .

خامساً ـ مزّق تجمعات المنظمات المنحرفة التي تكونت خلال فترة غياب النبي إلى زمان خلافته .

٨ ـ خلّف أعظم تراث حضاري ـ فكري يتركه انسان بعد النبي وقد جمعت مجموعة كلماته التي تعتبر بحق تعبيراً حقيقياً عن مبادىء ومفاهيم الإسلام في كتاب « نهج البلاغة »

ومستدركاتها المختلفة .

٩ ـ قتل في مسجد الكوفة بتاريخ ٢١ / رمضان / ٤٠ هـ. ودفن في النجف الاشرف .

١٠ ـ كشف عن دور « آل البيت » القيادي في الحياة في خطبة قال فيها :

« .. هم عيش العلم وموت الجهل ، يخبركم حلمهم
« عن علمهم ، وصمتهم عن حِكَم منطقهم . لا
« يخالفون الحق ولا يختلفون فيه. هم دعائم الاسلام
« وولائج [ملاجىء] الاعتصام . بهم عاد الحق
« في نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامـــه وانقطع
« لسانه عن منبته . عقلوا الدّين عقل وعـــاية
« ورعاية (تطبيق) لا عقل سماع ورواية ، فان
« رواة العلم كثير ورعاته قليل [1] .

١١ ـ وكشف عن حقيقة ما جرى بعد وفاة النبي في خطبته المعروفة بالخطبة الشقشقية فقال :

« اما والله لقد تقمصها [الخلافة] ابن أبي قحافة ،
« وانه ليعلم ان محلي منها [الخلافة] محل القطب

---

(١) نهج البلاغة ج ـ ٣ ص ـ ٢٣٢

« من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير
« فسدلت دونها [الخلافة] ثوباً [غضضت النظر
« عنها] وطويت عنها كشحاً وطفقت . ارتأى
« [بدأت افكر] بين أن أصول [احارب] بيد
« جذاء [مقطوعة] أو أصبر على طخية [ظلمة]
« عمياء يهـــرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ،
« ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه . فرأيت ان
« الصبر على هاتا أحجى [أجدر] فصبرت وفي
« العين قذىً ، وفي الحلق شجاً [عظم معترض]
« ارى تراثي نهباً [1]

١٢ ـ من كلماته الحكيمة :

● في التجارب علم مستحدث . !

● من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه . !

● إذا اقبلت الدنيا على أحد اعارته محـــاسن غيره وإذا أدبرت عنه ، سلبته محاسن نفسه . !

● إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه . !

---

(١) نهج البلاغة ج ـ ١ ص ٣٠ ـ ٣١

● أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به . !

● قرنت الهيبة [التهيب من الشيء] بالخيبة ، والحياء بالحرمان ، والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير . !

● يا بن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه ، وأنت تعصيه فاحذره . !

● أفضل الزهد اخفاء الزهد . !

● لسان العاقل وراء قلبه [يفكر ثم يتكلم] وقلب الأحمق وراء لسانه (يتكلم ثم يفكر في عواقب كلامه) .

● لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميراث كالأدب ولا ظهير كالمشاورة . !

● أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام . !

● لا تستح من اعطاء القليل فان الحرمان أقل منه . !

● من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم . !

● شتان ما بين عملين : عمل تذهب لذته وتبقى تبعته ، وعمل تذهب مؤنته (تعبه) ويبقى أجره . !

● أشد الذنوب ما استهان به صاحبه . !

● لأنسبن الأسلام نسبةً لم ينسبها أحدٌ قبلي ، الاسلام هو : التسليم . والتسليم هو : اليقين . واليقين هو : التصديق . والتصديق هو : الاقرار . والاقرار هو : الأداء . والأداء هو : العمل الصالح ! .

● أيها المؤمنون .. انه من رأى عدوانـــاً يعمل به ، ومنكراً يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبُرىء ، ومن انكره بلسانه فقد أجر ، وهو أفضل من صاحبه . ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الظالمين هي السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقـــام على الطريق ونور في قلبه اليقين ! .

● عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته الغنى الذي إياه طلب ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ، ويكون غداً جيفة . وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله . وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى . وعجبت لمن انكر النشأة الأخرى وهـــو يرى النشأة الأولى . وعجبت

لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء ! .

● هلك امرؤ لا يعرف قدره . !

● الراضي بفعل قوم كالداخل معهم، وعلى كل داخل باطل إثمان : إثم العمل به ، وإثم الرضا به .

● الفقر هو الموت الأكبر . !

٢

الامام الحسن بن علي (ع)

١ – هو الامام الحسن بن علي بن أبي طالب الإبن الأكبر لفاطمة الزهراء سلام الله عليها [١] .

---

(١) قدم الرسول الأعظم ابنته فاطمة الزهراء ، كسلة نموذجية – إذا صح التعبير – وقد ربّاها تربية إسلامية . فتحملت كامل مسؤليتها كامرأة قيادية سواء في حياة النبي (ص) أم بعدها .

وكان النبي – اظهاراً لدورها القيادي – يبدي لها احتراماً كبيراً جداً حتى أنه كان يقبل يدها كلما دخل عليها أو دخلت عليه وكان يقول في حقها : « فاطمة أم . . أبيها » والأحاديث التي يرويها المسلمون في حقها لا تقبل الحصر. وذلك مثل : « فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن أحبها فقد أحبني» ومثل : « فاطمة أحب الناس إلي » . . ومثل « لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ » .

٢ ــ ولد عام ٣ ــ هجرية وعاش في ظـــل النبي مدة سبع سنوات كما عاش في ظل الامام علي عليه السلام مدة سبع وثلاثين عاماً ، وخاض معه غمار حروب كثيرة وكان في بعضها قائداً .

٣ ــ قال الله عنه وعن أخيه في حديث قدسي خاطب فيه الرسول الأعظم :

« إنيّ لم ابعث نبياً فاكملت ايّامه ، وانقضت نبوته
« إلاّ جعلت له وصياً ، وإني فضلتك على الأنبياء .
« وفضلت وصيك على الأوصياء وأكرمتك بشبليك
« وسبطيك حسن وحسين ، فجعلت حسناً معدن
« علمي بعد انقضـــاء مدة ابيه ، وجعلت حسيناً
« خازن وحيي ، واكرمته بالشهادة[1].

وقال فيه الرسول الأعظم ، وفي اخيه ــ :

« الحسن والحسين امامان ان قاما وان قعدا .

وقال ــ :

« الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا [2].

---

(١) كلمة الله ص ــ ١١٧

(٢) راجع الترمذي والحاكم ، عن ابي سعيد الخدري

وقال — :

« الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة [1] .

٤ — كان يتلهف منذ طفولته على تفهم الآيات القرآنية ، التي كانت تنزل آنذاك تباعاً على جده ، ويسارع إلى حفظها عن ظهر قلب ليقوم بدوره في عملية نشر الرسالة حيث كان يلتقط آيات القرآن الكريم من جبرئيل أو من الرسول الاعظم ، ويحملها إلى داخل البيت ويحدث بها امه الزهراء ، وكان كثيراً ما يدهش أباه حيث كان لا يأتي إلى الدار حتى يجد أن فاطمة الزهراء تعرف كل شيء عن الآيات الجديدة التي نزلت على النبي (ص) ولما سألها عن ذلك مرة اجابت — : من ولدك الحسن ، يأتيني بالآيات قبل أن تصل انت إلى الدار .

٥ — تولى الرسول الاعظم تربيته في حياته ، ثم تولاه الامام علي واشترك معه في جميع الحروب التي خاضها بعد مقتل عثمان وكان له الدور القيادي فيها .

وتعتبر حياته حياة قائدة لا بد من محاولة تقمصها خطوة بخطوة ولحظة بلحظة ، من قبل كافة المسلمين .

٦ — على الصعيد التاريخي قام بما يلي :

أولاً — واصل الكفاح المسلح ضد معاوية الذي فرض

---

(١) راجع كتب التاريخ كلها .

نفسه بالكذب والخداع والتزوير على الجماهير المسلمة في الشام .

ثانياً ـ كشف ـ في خطبه ومقالاته وكلماته الحكيمة عن زيف الكثير من المفاهيم المدخولة .

ثالثاً ـ وقع اتفاقية الصلح مع معاوية بعد أن خانه قواد جيشه الذين اغراهم معاوية بالمال، فكتبوا اليه يبدون استعدادهم بتسليم الإمام اليه متى ما يريد ؟

رابعاً ـ فوّت بتوقيعه معاهدة الصلح ـ التي تنص فيما تنص على أن تعود الخلافة إلى الامام الحسن أو الامام الحسين بعد موت معاوية ، وأن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة رسوله ـ فوّت عليه امكانية صياغة قيادة إسلامية مزيفة وفرض نفسه كخليفة شرعي ، وصاحب الرأي المقبول في التشريع والتنفيذ. كما كشف عن الاقنعة التي كان يستعملها الحكم الأموي ويتستر بها .

٧ ـ كان (ع) يقول ـ :

« أني لأستحي من ربي أن القاه ولم أمش إلى « بيته .

فمشى إلى البيت الحرام خمساً وعشرين حجة [١]

---

(١) الحلية لابي نعيم

٨ ـ قاسم الله أمواله أكثر من مرة ، فأعطى نصف ما يملك لله ، وأبقى النصف الآخر لنفسه ، حتى انه كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً ، ويعطي خفاً ويمسك خفاً »[1]

٩ ـ قتل سنة ٥٠ ـ هـ بفعل السم الذي دسته اليه زوجته «جعدة بنت الاشعث بن قيس» بعد ان وعدها معاوية بتزويجها من يزيد وباعطائها مائة الف درهم مقابل الاقدام على هذه الجريمة . ولكنه خانها بعد العملية قائلاً لها ـ : انا لم نرضاكِ للحسن ، فكيف نرضاك لانفسنا ؟ ودفن في البقيع .

١٠ ـ خلف تراثاً فكرياً ضخماً في المفاهيم الاسلامية جمع بعضها في كتاب : « كلمة الامام الحسن » وظل الكثير منه منتشراً في الكتب المصادرية في الشريعة الاسلامية .

١١ ـ من كلماته الحكيمة :

● الجواد : الذي يؤدي ما افترض عليه ، والبخيل : الذي يبخل بما افترض عليه (هذا في المخلوق) وفي الخالق هو الجواد ان اعطى وهو الجواد ان منع ، لانه (تعالى) ان اعطى عبداً ، اعطاه ما ليس له ، وان منع ، منع ما ليس له . !

● الناس في دار سهو وغفلة ، يعملون ولا يعلمون فاذا

---

(١) فضائل آل الرسول ص ـ ٤٢

صاروا إلى دار يقين يعلمون ، ولا يعملون . !

● عجبت لمن يفكر في مأكوله (طعامه) كيف لا يفكر في معقوله (مصادر تفكيره ومعلوماته) فيجتنب بطنه ما يؤذيه ويودع صدره ما يرديه (يهلكه) . !

● يا ابن آدم .. عف (تجنب) عن محارم الله (محرماته) تكن عابداً ، وارض بما قسم الله تكن غنياً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس بمثل ما تحب ان يصاحبوك به تكن عادلاً . !

● انه كان بين أيديكم اقوام يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً أصبح جمعهم بوراً ، وعملهم غروراً ، ومساكنهم قبوراً . !

● يا ابن آدم .. لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك ، فخذ ما في يديك لما بين يديك (لمستقبلك) فان المؤمن يتزود (من الدنيا للآخرة) والكافر يتمتع (فقط) .

● أحسن الناس عيشاً من اشرك الناس في عيشه ، واشر الناس من لا يعيش في عيشه أحد . !

● شر الناس من يرى انه خيرهم . !

● (سأله شخص عن رأيه في السياسة فقال :) : هي ان ترعى حقوق الله وحقوق الأحياء ، وحقوق الأموات :

« فاما حق الله فأداء ما طلب ، والاجتناب عما نهى .

« واما حقوق الأحياء فهي ان تقوم بواجبك نحو اخوانك ، ولا تتأخر عن خـــدمة امتك وأن تخلص لولي الامر (تكون مخلصاً للحاكم) ما أخلص لأمته (ما دام هو الآخر مخلصاً لأمته) وان ترفع عقيرتك (مؤخرتك) في وجهه (استنكاراً) إذا ما خلا عن الطريق السوى .

« وأما حقوق الأموات فهي أن تذكر خيراتهم ، وتتغاضى عن مساوئهم ، فانّ لهم رباً يحاسبهم . !

● (جمع يوماً بنيه وبني أخيه الصغار وقال لهم :) انكم صغار قوم ، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين ؛ فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه في بيته .

● رأس العقل معاشرة الناس بالجميل . !

● أوصيكم بتقوى الله وادامة التفكر ، فـانّ التفكر أبو كل خير وأمه . !

● فـضّح الموتُ .. الدنيا . !

● الفرصة سريعة الفوت ، بطيئة .. العود . !

● ما تشاور قوم إلا هُدوا إلى رشدهم . !

● إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً . !

● إذا أردت عزاً بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان: فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته . !

٣

الامام الحسين بن علي (ع)

١ ـ هو الامام الحسين بن علي بن ابي طالب ، شقيق الحسن من ابيه وامه .

٢ ـ ولد عام ٤ ـ هـ في المدينة المنورة ، وعاش مع الامام الحسن في جو عائلي واحد في ظل جدهما الرسول الأعظم وأبيهما الامام علي (ع) .

٣ ـ أصبح اماماً مفترض الطاعة بعد مقتل أخيه الامام الحسن عام ٥٠ ـ هـ .

٤ ـ قال عنه الرسول الأعظم في الحديث الشهير :

« حسين مني ، وأنا من حسين » .

مشيراً بذلك إلى الترابط الجذري القائم بين كل منهما فيما يختص بالرسالة الاسلامية ، ودور كل واحد في نشرها .

٥ – تعتبر حياته كحياة أخيه وأبيه حياة قيادية يجب إتباعها خطوة خطوة ولحظة بلحظة .

٦ – على الصعيد التاريخي قام بما يلي :

أولاً – شارك أباه في حروبه التي خاضها بعد توليه الخلافة ، وكان له دور قيادي في بعضها .

ثانياً – شارك أخاه في محنه وآلامه مع معاوية وكان له الدور الكبير في تجنيب سلطات معاوية اتخاذ الكثير من المواقف الإلحادية .

ثالثاً – واصل نشر الرسالة بالطرق السلمية وقام بتربية مجموعة كبيرة نوعاً ما من الناس حسب أصول الشريعة .

رابعاً – قام بثورة مسلحة عنيفة ضد الحكم الأموي في عهد يزيد بن معاوية ، وراح هو و ٧٢ – من أقربائه وأنصاره ضحية تلك الثورة . واشتهرت ثورته هذه بواقعة عاشوراء ، أو واقعة كربلاء ، باعتبار جريان احداثها في اليوم العاشر من محرم الحرام

في صحراء كربلاء جنوبي مدينة بغداد ، ودفن فيها .

وبالرغم من أن الامام قتل في هذه الثورة ، ولكنه على أي حال نجح نجاحاً كاملاً في تحقيق اهدافه المقدسة .

ذلك لأن الظروف التي مرت على الأمة الاسلامية اعطت السلطات التنفيذية ـ في نظر الأمة ـ حق اعتبار نفسها سلطات تشريعية ايضاً ، فكان الخليفة يعتبر نفسه مشرّعاً ، إلى جانب كونه منفذاً للشريعة في وقت واحد ولأن الأمة كانت قد اعتادت على حياة الرسول الأعظم الذي كان يمارس التشريع[1] والتنفيذ معاً ، واعتادت على حياة الذين تعاقبوا على الحكم الذين كانوا هم ايضاً يمارسون ـ بشكل أو بآخر ـ كلا الأمرين ، فقد أصبح من السهل على القيادات ، عندما انحرفت عن خطها الاسلامي المحدد ، أن تقوم بنسف كل الأسس التي قام عليها الاسلام ، وابداع أسس جديدة على اساس : أن للحاكم أن يبدّل ويغيّر ، كما له أن ينفّذ !

وهذا ما كاد ان يقع فعلاً .. فلقد تخدر جسم الأمة بشكل معه يخشى من قيام السلطات الأموية ـ إذا ما استمرت في

---

(١) جريتا في ذلك حسب التعبير الحديث، وإلا فان النبي لم يكن مشرعاً ولا مارس التشريع لحظة من حياته، وكل ما أعلن عنه انما تلقاه من الله . . .

الحكم ـ بالتلاعب بنصوص الشريعة ، وتحويلها إلى مجموعة معتقدات ومبادىء لا تقل ميوعة من معتقدات ومبادىء المسيحية المنحرفة .

وهكذا اصبح من الضروري جداً أن يقوم الامام الحسين ـ باعتباره الممثل الشرعي للاسلام ـ بعملية يثبت بها زيف القيادات المنحرفة ، ويدخل الضوء في روع كل مسلم ، وتحرّك فيه مشاعر السخط ضد السلطات وتعلمه العمل من اجل المحافظة على الدين من التلاعب اللامسؤل .

وجرت الأحداث في عهد يزيد بن معاوية ـ الذي نصبه ابوه كخليفة للمسلمين من بعده على طريق نصب ابي بكر لعمر ـ جرت على شكل هيىء للامام الحسين أسباب النجاح في ثورته . فلقد تحرك بعض المسلمين إلى الكوفة ضد يزيد معتبرين « خلافته » مخالفاً لأهم بند من بنود اتفاقية الصلح التي وقعها معاوية مع الامام الحسين ، فكتبوا للامام الحسين يطلبون منه السفر اليهم ، معلنين بذلك التمرد المكشوف على حكم يزيد .

ولبى الامام الطلب .

وارسل ابن عمه مسلم بن عقيل كوال من قبله على الكوفة . ولكن اهل الكوفة باعوا ضمائرهم للسيف والذهب ، وتحولوا من اعوان إلى أعداء ، وسلموه إلى والي يزيد ، حيث قتله في

وضح النهار .

وفيما كان خبر مقتل مسلم بن عقيل ينتشر في ارجاء العالم الاسلامي ، تحرك امام الحسين من مكة متوجهاً إلى الكوفة ، فالتقى في صحراء كربلاء بطلائع جيش يزيد ، وحوصر من قبلها لمدة ثلاثة أيام ، ثم دخل معها في معركة غير متكافئة القوات حيث كان عدد جيش يزيد يقرب من نصف مليون جندي ، بينما لم يكن جيش الامام يتجاوز عن المائتين بما في ذلك الاطفال والنساء والشيوخ وكان عدم التكافوء مهدوفاً للامام الحسين ، لأنه لم يكن يبحث عن الانتصار العسكري لانقاذ السلطات التنفيذية من أيدي الحكم الاموي وانما كان يسعى للكشف عن زيف هذه السلطات ومن ثم فصل السلطات التشريعية عنها .

وقد قتل الامام في هذه المعركة مع كل رجاله البالغ عددهم ٧٢ رجلاً كما قتلت معه أكثر من امرأة ، وأكثر من خمسين طفلاً وطفلة . وقطع الجيش الأموي رؤوس القتلى ، وطاف بهم على قمم الرماح غالبية مدن العالم الإسلامي ، وساهم بذلك من حيث لا يدري في إيقاظ الضمير والعقل والفكر في اعماق المسلمين .

وهكذا .. اكتشف المسلمون بعد مقتل الامام :

أولا – زيف الطريقة التي جرت عليها الخلافة بعد وفاة الرسول الأعظم . لأنها انتهت الى خلافة يزيد هذا .

ثانياً – ان الدين لا يعني : « إرادة الخليفة »لأن هذه الارادة قد تتعلق بإرتكاب جريمة بشعة كقتل الامام الحسين (ع). وإنما هو مجموعة مقاييس ومبادىء سماوية لا تقبل التقولب حسب الأهواء والرغبات .

وبذلك انتصر الحسين (ع) حيث انهزم يزيد، وأصبح للامام عليه السلام حق الحياة على الاسلام ، لأنه انقذه من مصير كان ينتظره ، ليس أقل سوءاً من مصير المسيحية .

وهكذا كان الحسين « من » النبي، وكان النبي أيضاً « من » الحسين – كما قال الرسول الاعظم .

٧ – خلّف تراثاً فكرياً ضخماً من الكلمات الحكيمة ، والمواقف البطولية ، جمع قسم من كلماته في كتاب « لمعة من بلاغة الامام الحسين » ويعتبر تراثه مصدراً من مصادر التشريع الاسلامي .

٨ – من كلماته الحكيمة :

● الناس عبيد الدّنيا ، والدّين لعـــق على ألسنتهم ، يحوطونه ما درت معايشهم ، فاذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون !

● السلام قبل الكلام .

● إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله عز وجل .

● البخيل من بخل بالسلام.

● اياك وما تعتذر منه فان المؤمن لا يسيء ولا يعتذر والمنافق كل يوم ليسيء ويعتذر .

● الإخوان أربعة :

١ – فأخ لك ، وله .

٢ – وأخ لك .

٣ – وأخ عليك .

٤ – وأخ لا لك ولا له .

الأخ الذي هو لك وله فهو الأخ الذي يطلب بإخائه بقاء الإخاء ولا يطلب بإخائه موت الإخاء . فهذا لك وله لانه إذا تم الإخاء طابت حياتها جميعاً ، وإذا دخل الإخاء في حال التناقض بطل جميعاً .

والأخ الذي هو لك فهو الأخ الذي قد خرج بنفسه عن حال الطمع إلى حال الرغبة فلم يطمع في الدنيا، إذا رغب في الإخاء. فهذا موفر عليك بكليته .

والأخ الذي هو عليك فهو الأخ الذي يتربص بك الدوائر ويفشي السرائر ويكذب عليك بين العشائر وينظر في وجهك نظر

الحاسد ، فعليه لعنة الواحد .

والأخ الذي لا لك ، ولا له فهو الذي قد ملأه الله حمـــقاً فأبعده سحقاً فتراه يؤثر نفسه عليك ويطلب شحاً ما لديك .

● أوصيكم بتقوى الله ، فان الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره إلى ما يحب ويرزقه من حيث لا يحتسب .

فاياك ان تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهـــم ويأمن العقوبة من ذنبه ، فان الله تبارك وتعالى . لا يخدع عن جنته ، ولا ينال مـــا عنده الا بطاعته انشاء الله .

٤

الامام علي بن الحسين (ع)

١ ــ هو الامام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الشهير بزين العابدين .

٢ ــ ولد عام ٣٨ ــ هـ وعاش سنين حياته الأولى في ظل جده الامام علي (ع) ، كما عاصر مدة ٢٢ ــ عاماً أباه الامام الحسين عليه السلام .

٣ ــ قال الله عنه في حديث قدسي : « سيد العابدين »

وزين أوليائي الماضين .[1]»

٤ – حضر واقعة كربلاء ، وعاش احداثها ، وآلامها ، ومآسيها ، ولكن المرض الشديد حال دون اشتراكه في معاركها الدامية .

٥ – تعتبر حياته ، حيـــاة قيادية لا بد من تقمصها حرفاً بحرف وخطوة بخطوة .

٦ – خلف تراثاً فكرياً هائلا ، جمع بعض منه في « الصحيفة السجادية » و « رسالة الحقوق » بينما بقي القسم الآخر موزعاً على كتب المصادر الفكرية .

٧ – على الصعيد التاريخي قام بما يلي :

أولاً – قاد ثورة الامام الحسين (ع) بعد مقتله بكربلاء عام ٦٠ – هـ وتحمل آلاماً كثيرة في سبيل نشر الوعي الاسلامي في صفوف المسلمين ، الذين بدأوا يستيقظون شيئاً فشيئاً بعد تلك الثورة .

ثانياً – قاد حربا دعائية ضخمة ضد سلطات بني امية عن

---

(١) كلمة الله ص – ١١٨

طريق الكشف المباشر لأحداث ومآسي كربلاء، وكيفية مقتل أبيه وإخوته وبني أعمامه ، وكان كثيراً ما يمشي في الأسواق فاذا رأى قصابا يهم بذبح الشاة أوقفه عـــن مباشرة الذبح وسأله ـ : هل سقيت هذا الحيوان ؟

فاذا كان الجواب ايجابيا ، بكى بكاءاً مراً ، حتى إذا التف حوله الناس وسألوه عن سبب بكائه أجاب ـ : لقد قتلوا أبي ، واخوتي وأعمامي عطاشا في كربلاء والماء يشرب منه المجوس واليهود !

وكان كلما قدم اليه الماء أو الطعام .. يبكي بحرقة وحرارة، فاذا سأل الناس عن سبب بكائه اجاب ـ : ءأشرب وقتل ابن رسول الله عطشانا ؟ ءآكل وقد قتل ابن رسول الله جائعا؟

وبالاضافة إلى ذلك ، فقد كان يقيم مجالس العزاء على أرواح شهداء كربلاء ، ويحث الناس على إحيـــاء ذكرى عاشوراء ، وهكذا استطاع ان يكشف النقاب عن حقيقة بني أمية ودورهم الالحادي في التخريب ، وبذلك ساعد على انهيار حكمهم الأسود البغيض .

٨ ـ قتل بفعل السم الذي دس اليه ، عام ٩٤ هـ ودفن في البقيع بالمدينة المنورة .

٩ ـ صاغ أكبر مجموعة من الادعية ذات المفعول السحري في تحريك وجدان الانسان ، وتنشيط ضميره .

وادعية الامام زين العابدين ، تعتبر بحق أكبر مدرسة لمن أراد أن يكون أحسن تلميذ .

آ ـ لاحظ كيف يوقظ في الانسان الشعور بقدرة ، وحاكمية ، ومحبة الله تعالى بكلمات رقيقة كالنسيم ، صادقة كالنور ، عميقة كالبحار :

إلهي ـ

لا تؤدبني بعقوبتك ، ولا تمكر بي في حيلتك . من أين لي الخير ، يا رب ، ولا يوجد إلا من عندك؟.

ومن أين لي النجاة ، ولا تستطاع إلا بك ؟.

لا الذي احسن استغنى عن عونك ورحمتك ، ولا الذي اساء واجترء عليك ولم يُرضك ، خرج عن قدرتك .

يا رب ..

بك عرفتك ، وأنت دللتني عليك ، ودعوتني اليك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت ؟

الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني ، وإن كنت بطيئاً حين يدعوني . والحمدلله الذي أسأله فيعطيني وإن كنتُ بخيلاً حين يستقرضني ، والحمدلله الذي أناديه كلّما شئت لحاجتي ، وأخلوبه حيث شئت لسرّي بغير شفيع ، فيقضي حاجتي .

الحمد لله الذي لا أرجو غيره ، ولو رجوت غيره لأخلف رجائي ، والحمد لله الذي وكلني اليه فأكرمني ، ولا يكلني إلى الناس فيهينوني ، والحمد لله الذي تحبّب إليّ وهو غني عني ، والحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي ، فربي أحمد شيء عندي وأحق بحمدي .

ب ـ ولاحظ كيف يدفع الانسان إلى تقمص المناقبيـــة الاسلامية بقوله :

اللهم صل على محمد وآله ، ولا ترفعني في النـاس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلهـــا ، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا احدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها .

اللهم صل على محمد وآله وسّعني بهدى صالح لا أستبدل به وطريقة حق لا أزيغ عنها ، ونية رشد لا أشك فيها .

اللهم صل على محمـــد وآله وسددني لأن اعارض من غشني

بالنصح ، واجزي من هجرني (أهلني) بالـــبر ، وأثيب من حرمني بالبذل ، وأكافي من قطعني بالصـــلة ، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر ، وان أشكر الحسنة ، واغضي عن السيئة .

اللهم صل على محمد وآله ، وحلّني بحلية الصالحين ، والبسني زينة المتقين في بسط العدل وكظم الغيظ واطفاء النائرة وضمّ أهل الفرقة ، وإصلاح ذات البين ، وافشاء العارفة وستر العائبة (العيب) ولين العريكة ، وخفض الجناح ، وحسن السيرة وسكون الريح ، وطيب المخالقة ، والسبق إلى الفضيلة ، وايثار التفضل وترك التعيير ، والافضال على غير المستحق ، والقول بالحق وان عزّ ، والصمت عن الباطل وان نفع واستقلال الخير وان كثر من قولي وفعلي .

ج - ولاحظ كيف يدفع الانسان إلى التوبة ، ويعلمه كيفية مخاطبة الله في ذلك بقوله :

إلهي ..

لم أعصك حين عصيتك ، وانـــا بربوبيتك جاحد ، ولا بأمرك مستخف ، ولا لعقوبتك متعرض ولا بوعيدك متهاون ولكن خطيئة عرضت وسوّلت لي نفسي ، وغلبني هواي ، وأعانتني عليها شقوتي .

فالآن من عذابك من يستنقذني ؟ وبحبل من أتصل إن انت قطعت حبلك عني ؟ ولولا ما أرجو من كرمك وسعة رحمتك ، ونهيك إياي عن القنوط لقنطت ، فهب لي من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب فبعزتك لو انتهرتني ما برحت من بابك ولا كففت عن تملقك . إلى من يذهب العبد إلا إلى مولاه . وإلى من يلتجيء المخلوق إلا إلى خالقه .

٨ – من كلماته الحكيمة :

● ويحك يا ابن آدم الغافل ، وليس مغفولاً عنه . ان أجلك أسرع شيء اليك قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك ، فكأنّ قد أوفيت أجلك ، وقد قبض الملك (ملك الموت) روحك وصيّرت إلى قبرك وحيداً ، فردّ اليك روحك واقتحم عليك ملكان : منكر ونكير لمساءلتك وشديد إمتحانك !

ألا وإنّ أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده (تخضع له) وعن دينك الذي تدين به ، وعن كتابك الذي كنت تتلوه . وعن إمامك الذي كنت تتولاه ، وعن عمرك فيما افنيت ، وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته ؟

فخذ حذرك وانظر لنفسك ، وأعدّ الجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار .

● من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا .!

● لا يقل عمل مع تقوى ، وكيف يقل ما يتقبّل ؟

● إتقوا الكذب الصغير منه والكبير ، في كل جد وهزل ، فان الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير .

● الخير كله في صيانة الانسان نفسه .!

● إن اقربكم من الله أوسعكم خلقاً ، وان ارضاكم عند الله أسبغكم على عياله ، وان أكرمكم على الله أتقاكم لله .!

● ابن آدم .. انك ما تزال بخير ما (دام) كان لك واعظ من نفسك ، وما كانت المحاسبة (محاسبة النفس) من همك . ابن آدم .. انك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله جل وعزّ فأعد له جواباً .!

● إياك ومصاحبة الكذاب فانه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب ، وإياك ومصاحبة الفاسق فانه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك ، وإياك ومصاحبة البخيل فانه يخذلك في ماله أحوج ما تكون اليه ، وإياك ومصاحبة الأحمق فان يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصاحبة القاطع رحمه فاني وجدته ملعوناً في كتاب الله .!

٥

الامام محمد الباقر (ع)

١ – هو الامام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب .

٢ – ولد عام ٥٧ – هـ وكآبائه الكرام قام بقيادة الأمة الاسلامية قياماً مخلصاً بعد وفاة أبيه الامام علي بن الحسين عام ٩٤ – هـ .

٣ – قال الله عنه في حديث قدسي : « شبيه جده المحمود محمد ، الباقر لعلمي والمعدن لحكمتي »وقال عنه الرسول الأعظم « انه يبقر العلم بقراً (يمزق حجابه تمزيقاً) ».

٤ – تميزت فترة حياته . بتوفر شيء من الحرية العامة نظراً لأن الحكم الأموي كان يعاني من حالة إحتضار شديدة بعد أن توالت ضدها الثورات التي فجرتها ثورة كربلاء المقدسة ، ولهذا فقد استطاع الامام الباقر أن يكشف عن مفاهيم الاسلام الصحيحة وينشر الفكر الشيعي .

٥ – على الصعيد التاريخي قام بما يلي :

أولا – قام بتنشئة أكبر مجموعة من الفقهاء الذين استطاعوا أن يبعثوا من جديد حركة التشريع الاسلامي ، على أساس أن الاسلام منهاج ودستور .

ثانياً – أنقذ الدولة الإسلامية من الاستغلال الاقتصادي الذي كانت تمارسه الدولة الرومية ، نظراً لسيطرتها على العملات ، وسكتها خلال فترة طويلة ، وذلك عندما أشرف بشخصه على حفر سكة جديدة وأعاد بذلك الحالة الاقتصادية في البلاد إلى استقلالها المنشود .

وأدى ذلك إلى تقريب الدواوين ، وتقليص النفوذ المسيحي الاستعماري من البلاد .

٦ – قتل عام ١١٤ – هـ بفعل السم الذي دسه اليه اعدائه . ودفن في البقيع .

٧ – خلّف تراثاً فكرياً ضخماً لم يجتمع في كتاب نظراً لكثافته وتوسعه .

٩ – من كلماته الحكيمة :

● إن ظُلمت فلا تظلم ، وإن خانوك فلا تخن ، وإن كذّبت فلا تغضب ، وإن مُدحت فلا تفرح وإن ذممت فلا تجزع . وفكر فيما قيل فيك فان عرفت نفسك ما قيل فيك (أي إن كان ذلك صادقاً) فسقوطك من عين الله عز وجل عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس ، وإن كنت على خلاف ذلك فثواب اكتسبته من غير أن يشعب بَدَنك !

● إياك والرجاء الكاذب ، فإنه يوقعك في الخوف الصادق . !

● لا شرف كبعد الهمة ، ولا عـدل كالانصاف ، ولا مصيبة كعدم العقل . !

● صانع المنافق بلسانك ، وأخلص مودتك للمؤمن ، وان جالسك يهودي فأحسن مجالسته . !

● ما من عبد يمتنع من معونة أخيه المؤمن والسعي له في حاجته ، قضيت أو لم تقض ، إلا ابتلي بالسعي في حاجة فيما يأثم عليه ولا يؤجر . وما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضى الله إلا ابتلي بأن ينفق أضعافها فيما اسخط الله !

● الايمان حبٌ (لأصدقاء الله) وبغض (لأعداء الله) . !

● اياك والكسل والضجر فانهما مفتاح كل شر . !

٦

الامام جعفر الصادق (ع)

١ ـ هو جعفر بن محمد الباقر عليهما السلام .

٢ ـ ولد عام ٨٣ ـ هـ وأصبح إماماً مفترض الطاعة من عام ١١٤ أي بعد وفاة والده الامام الباقر (ع) .

٣ ـ قال الله تعالى عنه في حديث قدسي: « سيهلك المرتابون في جعفر ، الراد عليه كالراد علي ، حق القول مني لأكرمن مثوى جعفر ولأسرنه في اشياعه وانصاره وأوليائه [١] »

٤ ـ عاصر انهيار الحكم الأموي ، وقيام الحكم العباسي ، وسمحت له ظروف تنقل السلطات من « القبائل الأموية » إلى « القبائل العباسية » ان يقوم بتحقيق مسؤولياته كإمام عينته السماء لقيادة الأرض ، ولتوفر جو الحرية . استطاع ان ينجز أعمالاً ضخمة جداً فقد كشف عن وجه الاسلام الناصع بعد ان شوهه بنو أمية ، ونسف كل الأسس الفكرية التي قامت عليها فلسفات الاغريق والرومان ، والتي أدخلها بنو العباس إلى البلاد في محاولة لتركيز حكمهم الذي كان يحبو آنذاك على انقاض الحكم الأموي .

وكان لثورة الامام الحسين (ع) عام ٦٠ ـ هـ التأثير الكبير في توفير حرية القول والعمل لحفيده الامام الصادق (ع) بحيث لو لم يكن لتلك الثورة أي تأثير آخر على مجرى الأحداث

---

(١) كلمة الله ص ـ ١١٨

لكان تفجيرها ضرورياً جدا .

٥ – على الصعيد التاريخي قام بما يلي :

أولاً – قام بصياغة مجموعات من الرجال القياديين وكون منهم النواة الأساسية في « ثورة ثقافية » حقيقية فجرها الامام في وقت بات فيه الاسلام بمجموعة خرافات أدخلها بنو أمية وبنو العباس إلى الأذهان . وأعادت هذه الثورة الاسلام إلى الحياة بعد جمود دام أكثر من نصف قرن ..

ثانياً – كوّن جامعة دينية في المدينة المنورة ، كان يحضرها أكثر من اربعة آلاف رجل من مختلف المذاهب . وكان بعض هؤلاء يقوم بسرقة أفكار الامام ويصوغها بعد تشويهها على أساس انها آرائه الخاصة .

ثالثاً – قام لأول مرة في التاريخ بوضع نظام للتخصص في العلوم حيث عيّن لكل علم رجلا من أصحابه .

رابعاً – تلمذ على يديه : « ابو حنيفة » الذي قال مشيراً إلى الفترة التي كان يحضر فيها دروس الامام : « لولا السنتان لهلك النعمان » كما تلمذ على يده « إبن حنبل » وغيره من كبار الشخصيات غير الجعفرية .

خامساً – كشف عن بعض ما يعلمه آل البيت من العلوم

لأبي حيان الكوفي ، تلميذه الوفي الذي يعتبره العالم بحق : أب الكيمياء الحديثة .

فقد كتب أبو حيان دروس الامام التي كان يتلقاها منه في الكيمياء من دون ان يسبقه الى ذلك أي انسان ، ولا تزال كتاباته الموجودة في بعض المكتبات تتصدرها عبارة : « حدثني سيدي ومولاي جعفر بن محمد الصادق (ع) » .

وجابر بن حيان هذا هو الذي قام ولأول مرة، بصنع طائرة تشبه طائرة هليوكبتر للوزير العباسي يحيى البرمكي ، فكان يجلس فيها ويطير في السماء لساعات طويلة ، وأيضاً فانه هو الذي صنع جهازاً يشبه إلى حد بعيد – كما جاء في أوصافه – جهاز التلفون ، كما صنع حاجبا اوتوماتيكيا كان يقتل من يقترب اليه لو لم يلاحظ تعليمات خاصة . وهو صاحب العبارة الشهيرة: « في الأرض عناصر كثيرة ، ولكنني لا أملك الوسائل الكفيلة باخراجها » .

٦ – قتل الامام(ع) بفعل السم عام ١٤٨هـ ودفن في البقيع .

٧ – خلف عشرات الألوف من الأحاديث التي تكشف عن أحكام الله تعالى في قضايا الحياة والانسان ، وهي لم تجمع بعد في كتاب خاص ، وان كانت بعض خطبه قد جمعت في كتاب بعنوان « بلاغة الامام الصادق » ولكن الأكثرية لا تزال مبعثرة

في مختلف كتب الفكر والحديث .

٨ ـ من كلماته الحكيمة :

● ليست البلاغة بحدة اللسان ولا بكثرة الهذيان ، ولكنها اصابة المعنى وقصد الحجة . ؟

● طوبى لمن جعل بصره في قلبه ، ولم يجعل بصره في عينه . !

● اياكم والنظرة (النظر إلى المرأة الأجنبية) فإنهـا تزرع في القلب الشهوة ، وكفى بها لصاحبها فتنة . !

● احذر من النـاس ثلاثة . الخائن ، والظلوم ، والنمام ؛ لأن من خان لك (خـان الغير من أجلك) خانك ، ومن ظلم لك سيظلمك ، ومن نمّ اليك ، سينمّ عليك . !

● ثلاثة يستدل بهـا على اصابة الرأي : حسن اللقاء ، وحسن الاستماع ، وحسن الجواب .

● الصدق عز ، والجهل ذل ، والفهم مجد ، وحسن الخلق مجلبة للمودة . !

● ان الله أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروه فصارت

عليهم وبالاً . وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فكانت عليهم نعمـــة .

● تصافحوا ، فانها تذهب بالسخيمة (الحقد) .

● من ملك نفسه إذا غضب ، وإذا رهب ، وإذا رغب ، وإذا اشتهى حرّم الله جسده على النار .

● من أوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله ، وتعطي في الله وتمنع في الله .

● من ساء خلقه عذّب نفسه .

● عالمٌ أفضل من الف عابد والف زاهد ، والف مجتهد .

● احبّ اخواني اليّ من أهدى اليّ عيوبي .

● مجاملة الناس نصف العقل .

٧

الامام موسى بن جعفر (ع)

١ ـ هو الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

٢ ـ ولد عام ١٢٨ ـ هـ.

٣ ـ كانت ظروف حياته الاجتماعية تفرض عليه المعارضة

وقسوة الظروف والتسلط العباسي فرضا عليه انتهاج أسلوب بالغ المرونة والدقة .

٤ ـ كوّن مجموعة من الفقهاء ، والعلماء أمثال «علي بن يقطين» ومدى عن طريقهم الكثير الكثير من الناس .

٥ ـ له مجادلات سياسية صريحة مع هارون الرشيد ، طاغية بني العباس ، وبسببها دخل السجن لأكثر من ٢٧ عاماً ، وكان بعض السجون التي دخلها لا يميز الانسان فيها الليل عن النهار .

٦ ـ له وصايا تعتبر من أجل ما عرفه الانسان من وصايا وأشهرها وصيته الطويلة لهشام بن الحكم أحد تلاميذه [١] ، منها قوله : يا هشام . !

« لكل شيء دليل ، ودليل العاقل التفكير ، ولكل شيء مطية ، ومطية العاقل التواضع ، وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه .

يا هشام . !

لو كان في يدك جوزة وقال الناس : في يدك لؤلؤة ، لم كان

---

(١) راجع كتاب « تحف العقول عن آل الرسول » ص ٤٠٤ـ٤٢٤ .

ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة ، ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس : انها جوزة ، ما ضرّك وأنت تعلم أنها لؤلؤة .

يا هشام . !

إن لله على الناس حجتين ، حجة ظاهرة ، وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء ، وأما الباطنة فالعقول .

يا هشام . !

إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرض بالدوّن من الحكمة مع الدنيا ، فلذلك ربحت تجارتهم ..

يا هشام . !

ان العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه ، ولا يسأل (شيئاً) (من) من يخاف منعه ، ولا يعد ما لا يقدر عليه ، ولا يرجو ما يعنّف برجائه ، ولا يتقدم على ما يخاف العجز عنه .

يا هشام . !

رحم الله من استحيا من الله حق الحياء فحفظ الرأس وما حوى ، (حفظ العين واللسان والأذن عن تعدي حدود الله) والبطن وما وعى (حفظ البطن عن امتلائه بالحرام) وذكر الموت والبلى ، وعلم أن الجنة محفوفة بالمكاره والنار محفوفة بالشهوات . ! »

٧ – قتله سندي بن شاهك ، بأمر من هارون الرشيد سنة ١٨٣ – هـ ودفن في بغـــداد ، في المنطقة التي تسمى الآن بالكاظمية .

٨ – خلّف تراثاً فكريـــاً ضخماً ، في جميع المجالات الفكرية .

٩ – من كلماته الحكيمة :

● الغضب مفتاح الشر . واكمـل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقـــاً .!

● إصبر على طـاعة الله ، وإصبر عن معاصي الله (إصبر على ترك المعصيه) فانما الدنيا ساعة ، فما مضى منها فليس تجدله سروراً ولا حزناً ، وما لم يأت منهـا فليس تعرفه ، فاصبر على تلك السـاعة التي أنت فيها فكأنك قد اغتبطت .!

● شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه ، وهل يُكبُّ الناسَ في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟

● من حسـن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه .!

● اداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق .!

● المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زيـــد في إيمانه زيد في

بلائه . !

● إياك أن تمنع في طاعة الله ، فتنفق مثليه في معصية الله . !

● عونك للضعيف من أفضل الصدقة . !

● تعجب الجاهل من العاقل أكثر من تعجب العاقل من الجاهل . !

● من أحزن والديه فقد عقّهما .

● ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا ، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار . !

● من تواضع لله ، رفعه . !

● ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فان عمل حسناً إستزاد منه . وإن عمل سيئاً استغفر الله ، وتاب اليه . !

٨

الامام علي بن موسى الرّضا (ع)

١ — هو الامام علي بن موسى بن جعفر (ع) .

٢ — ولد عام ١٥٣ — هـ

٣ – كآبائه الطاهرين انجز مسؤلياته كإمام فكر وعمل ، وكقدوة حسنة للابين المسلمين ، فحياته كلها نضال من أجل الله ، وتضحية في سبيله .

عينه المأمون العباسي ولياً للعهد ، في محاولة منه لكسب النفوذ ، والشخصية في ظلال الامام ، وبعد اجبار قسري قبل الامام ولاية العهد ، وضربت باسمه العملات وأعطي بعض الحرية في التدريس والتبليغ .

٥ – كشف عن مفاهيم الاسلام ، ومبادئه في عدة رسائل كتبها بناءاً على طلب جماعة منهم المأمون العباسي نفسه [١] .

٦ – له محاججات فكرية رائعة مع كثير من العلماء .

٧ – توفي عام ٢٠٣ هـ ودفن بمدينة مشهد في مقاطعة خراسان .

٩ – من كلماته الحكيمة :

● صاحب النعمة يجب أن يوسع على عياله . !

---

(١) الاطلاع الشامل على هذه الرسائل راجع : « تحف العقول » ص ٤٣٧ .

● ليست العبادة كثرة الصلاة والصيام ، وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله . !

● الأخ الأكبر بمنزلة الأب . !

● التودد إلى الناس نصف العقل . !

● صديق كل إمرء عقله ، وعدوه جهله . !

● خيار العباد ، الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساؤوا إستغفروا ، وإذا أعطوا شكروا ، وإذا إبتلوا صبروا ، وإذا غضبوا عفوا . !

● لا يكون المؤمن مؤمناً حتى تكون فيه ثلاث خصال : سنّةٌ من ربه وسنةٌ من نبيّه ، وسنةٌ من وليّه :

فأما السنّة من ربه فكتمان السر .

وأما السنّة من نبيّه فمداراة الناس .

وأما السنّة من وليّه فالصبر في البأساء والضراء . !

● حد التوكل (على الله) أن لا تخاف أحداً إلا الله . !

● لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى تكون فيه خصال ثلاث :

١ ــ التفقه في الدين .

٢ ـ وحسن التقدير .

٣ ـ والصبر على الرزايا .!

● ان الذي يطلب من فضل (مال) يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله .!

٩

الامام محمد بن علي (ع)

١ ـ هو الامام محمد بن علي الجواد .

٢ ـ ولد عام ١٩٥ ـ هـ .

٣ ـ حاجج كبار العلماء ، ولما يتجاوز ربيعه التاسع ، وفنّد مزاعمهم ، واثبت بذلك سماوية علم الامام ، لأنه استطاع أن يُسكت أفقه علماء عصره في الوقت الذي لم يتلق أية دراسات من أي شخص .

٤ ـ قتل عام ٢٢٠ ـ هـ بفعل سم دسه اليه المعتصم العباسي أخو المأمون .

٥ ـ خلّف تراثاً فكرياً ضخماً ، من الأحاديث في مختلف شؤون الحياة .

٦ – على الصعيد التاريخي ، واصل المعارضة الفكرية والسياسية للخط اللااسلامي الذي كان يسير عليه العباسيون وقتل في هذا السبيل .

٧ – من كلماته الحكيمة :

● من أصغى إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله ، وان كان الناطق ينطق عن لسان ابليس فقد عبد ابليس . !

● المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله ، وواعظ من نفسه ، وقبول ممن ينصحه . !

● لا ينقطع المزيد من (رزق) الله ، حتى ينقطع المزيد من الشكر من العباد . !

● من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه (لا يؤخذ بمسؤلياته) ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده . !

● اظهار الشيء قبل أن يستحكم (يتم) مفسدة له . !

١٠

الامام علي بن محمد (ع)

١ – هو الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام .

٢ – ولد عام ٢١٢ – هـ .

٣ – واصل حركة آل البيت ، في المدينة ، فخشيها بنو العباس ، ولذلك جلبوه بوضع غير إنساني إلى سامراء عاصمتهم الجديدة ، حيث وضعوه تحت الاقامة الجبرية .

٤ – قتل عام ٢٥٣ – هـ بفعل السم العباسي ودفن في بيته بسامراء شمالي بغداد .

٥ – خلّف تراثاً فكرياً ضخماً .

٦ – من كلماته الحكيمة :

- من جمع لك ودّه ورأيه فاجمع له طاعتك !
- الدنيا سوق ، ربح فيها قوم وخسر آخرون !
- من هانت عليه نفسه (لم يبال بمصلحته) فلا تأمن شره !.
- إن الظالم الحالم يكاد أن يعفي على ظلمه بحلمه ، وان الحق السفيه يكاد أن يطفىء نور حقه بسفهه .
- من اتقى الله ، يُتقى (عند الناس) ومن اطاع الله ، يُطاع (من قبل الآخرين) ، ومن اطاع الخالق لم يبال بسخط

المخلوقين ، ومن اسخط الخالق فليتقن ان يحلّ به سخط المخلوقين ا .

● من كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ، ولو قرض (بالمقاريض) ونشر (بالمناشير) . !

١٢
الامام الحسن بن علي (ع)

١ ـ هو الامام ابي محمد الحسن بن علي العسكري .

٢ ـ ولد عام ٢٣٢ ـ هـ .

٣ ـ واصل في سامراء حركة التوعية الاسلامية ، والمعارضة الفكرية والسياسية ضد بني العباس ، وتحمل كل أنواع التعذيب ، والتنكيل في هذا السبيل .

٤ ـ قتل عام ٢٦٠ ـ هـ ودفن بسامراء .

٥ ـ خلف تراثاً فكرياً ضخماً .

٦ ـ من كلماته الحكيمة :

● من التواضع السلام على كل من تمر به ، والجلوس دون

شرف المجلس (في مكان أقل من مكانك) . !

- من الجهل الضحك من غير عجب . !
- أقل الناس راحة .. الحقود . !
- قلب الأحمق في فمه ، وفم الحكيم في قلبه . !
- ما ترك الحق عزيز الا ذل ، ولا أخذ به ذليل الا عز . !
- خصلتان ليس فوقهما شيء : الايمـــان بالله ، ونفع الأخوان . !
- ليس من الأدب ، اظهار الفرح عند المحزون . !
- ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله . !
- أورع الناس من وقف عند الشبهة . واعبد الناس من أقام الفرائض (أتى بالواجبات) وأزهد الناس من ترك الحرام ، وأشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب . !

١٢
الامام المهدي المنتظر (ع)

١ – هو الامام محمد بن الحسن المهدي المنتظر (ع)

٢ – ولد عام ٢٥٥ – هـ .

٣ – أختفى عن الانظار بعد وفـــاة والده الامام الحسن العسكري ، نظراً لتآمر السلطات العباسية على قتله .

٤ – من المنتظر أن يقود ثورة عالمية ضد كل مظاهر الظلم ، والجهل ، والطغيان في وقت يحدد له الله ، وهو لا يزال حياً يرزق بتعيين موعده لتفجير ثورته العظيمة .

٥ – وردت أكثر من خمسة آلاف حديث حوله من الرسول الأعظم والائمة الطاهرين . أشهرها المروي في كتب الصحاح ، وكتب الحديث بصورة عامـــة والذي يقول فيه الرسول الأعظم :

« المهدي من ولدي ، إسمه إسمي وكنيته كنيتي ،
« يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلمـــاً
« وجوراً .

٦ – كشف للكثيرين حتى الآن عن نفسه ، فعرفوه وتحدثوا اليه ، وانتفعوا به .

٧ – عندما يأتي : يطهر الأرض من الشرك . ويقيم موازين العدل ، ويحقق للناس الحرية .

٨ – عين في زمن غيبته القيادة التي يحق لها ممارسة القيادة البشرية ، عندما صرح بقوله :

« من كان من الفقهاء : صائناً لنفسه حافظاً لدينه
« مخالفاً لهواه ، مطيعاً لامر مـــولاه فللعوام أن
« يقلدوه .

وبقوله :

« رواة أحاديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله
« عليهم .

وهكذا تكون القيادة في مدة غيابه مخـولة للفقهاء المراجع دون غيرهم من قيادات بشرية مجعولة لا تستند على مدرك شرعي.

ذاك ..

العالم الذي ينتظرنا!

١

عندما يتطلع الانسان إلى الكون يجده مبنياً على أسس عادلة، بحيث لا يقع أي تغيير في أي جزء منه، إلا وتظهر آثاره على كل الأجزاء، ولا يطرأ أي عطب في أي مكان منه، إلا وتكون له نتائجه في الأماكن الأخرى.

٢

وعندما يطالع رسالات الله يجد أن كلها – بلا استثناء – تدعو إلى اقامة العدل في الحياة، وإلى إعطاء الحق لصاحبه، وإلى معاقبة المجرم، ومجازاة المحسن.

٣

ولكن .. بالرغم من كل ذلك فانه عندما يطالع في وضع

العالم الفعلي يحدأن ما يجري فيه الآن، وما كان يجري فيه خلال القرون الخالية، هو أبعد ما يكون عن العدل والانصاف فالظلم الذي يرتكبه الانسان بأخيه الانسان، لا مثيل له حتى في عالم الحيوان.

والمتقون الذين يستحقون كل شيء قد لا يحصلون على شيء.. بينما الأشرار الذين لا يستحقون أي شيء قد يحصلون على كل شيء.!

فهل يمكن أن تمر القضية هكذا.. حتى الأبد ؟

ومتى يجد الطيبون جزاء طيبتهم ؟

ومتى يجد الخبثاء جزاء خبثهم ؟

ومتى تتحقق عدالة الكون فيهم ؟

إذا راجعنا وجداننا نجد أن « الحقيقة » يجب أن تنتصر، فهي إن هزمت في زمان فلا يمكن أن تنهزم في كل زمان.

هذه حقيقة تحتمها عدالة الله تعالى التي يكشف عنها كل جزء من اجزاء الكون.

فاذا سكر الطغاة على أجساد الضحايا فلا بد أن يأتي اليوم الذي يسكر فيه الضحايا على جماجم الطغاة. فإذا لم يتحقق ذلك

اليوم فلا بد أن يتحقق غداً ، وإن لم يكن في غد فلا بـــد أن يكون بعد غد .. وإن لم يكن في الدنيا فسيكون في الآخرة .

فالساعة آتية لا ريب فيها ..

★

وهنا يأتي السؤال الكثير الإلحاح : عندما نموت ويدفننـــا الآخرون فتتحول إلى تراب ، وبعد ذلك كيف نعود مرة أخرى إلى الحياة ؟

وفي الحقيقة فإن المهم ليس هو : معرفة كيف نعود إلى الحياة ولا ماذا سيكون مصيرنا ؟ المهم هو أن نعرف قبل كل شيء أن الله لم يخلق الحياة ليلعب فيها ، إذ ليس من الممكن أن يخلق الله الحكيم عشرات الملايين من البشر ويهيء لهم كل وسائـل العيش من دون أن يريد منهم شيئاً ..

إننا لم نكن موجودين في وقت ما ..

ثم خلقنا الله ..

فإذن .. كل وجودنا إنما هو منه تعالى . وما دام هو حكيما لا يعطي إلا بحساب ، ولا يمنع إلا بحساب ، فان من الطبيعي أن يكون لكل ما نملكه ثمناً خاصاً لا بد من دفعه .

إلا أن « الدفع » هنا ليس يعني أن نعطي شيئاً ما ، وإنما يعني بالعكس أن نأخذ اشياء كثيرة ..

ذلك لأن من مظاهر تحبب الله الى الإنسان أنه خلقه بلا استحقاق ، ومع ذلك فلم يطلب منه مقابل هذا الخلق ، إلا أن يطيعه في رسالته اليه ، ليأتي مصيره جيداً ومرفهاً .

فالثمن الذي يريده الله منا هو : أن نحاول أن ننجح في إمتحانات الدنيا ..

وجزاء النجاح في هذا الامتحان هو : الجنة طبعاً .
كما أن نتيجة الفشل فيه هو : النار .

وهكذا تكون الحياة بعد الموت ضرورية إلى درجة كبيرة إذ لولاها لأصبح وجودنا على الأرض عبثاً في عبث . الأمر الذي لا يمكن قبوله اطلاقاً .

يقول الله تعالى :

« افحسبتم انما خلقناكم عبثاً ، وانكم الينا لا ترجعون[1] ؟

لا ..

ليس هناك عبث ، فكل ذرة في الأرض تكذب عبثية الحياة

---

(١) سورة المؤمنون - ١١٥ .

من خلال وجودها في المكان المناسب الأمر الذي يعني أنها مهدوفة .

فما هو هدف خلق الانسان ؟

قلنا مكرراً ان الهدف هو : إسعاد الانسان ، ولكن ليس كل انسان ، وإنما الانسان الذي يريد فعلاً أن يكون سعيداً . أي الانسان الذي يدفع ، ثمن ، هذه السعادة .

ولقد أخبرنا الله في كلمات صريحة لا تقبل الترديد : أن هذه الحياة ليست أكثر من مختبر ، وان الذين يعتبرونها « النهاية » ويبنون حساباتهم على هذا الأساس ليسوا أكثر من مخطئين .

إن كل فرد لا بد أن يلاقي جزاء أعماله التي يرتكبها هنا في عالم يختلف من حيث المقاييس عن هذا العالم .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يَره ومن يعمل مثقال « ذرة شراً .. يَره .

حتى انّ الأحاديث تكشف عن أنه لو نطح حيوان حيواناً آخر من بني جنسه بلا استحقاق فان الله سيبعثهما في ذلك العالم ليثأر المظلوم منهما من ظالمه . ثم يموتان .

ماذا نجد في الاخرة ؟

بالنسبة إلى المتقين – الملتزمين بمبادىء الله – فإن الموت هو

بداية سعادتهم، لأنهم سيجدون بعده كل أسباب السعادة والرفاه، فالجنة التي عرضها السموات والأرض تستقبلهم .

وبالنسبة إلى المنافقين والكافرين ـ عبّاد الهوى والمصالح ـ فإن الموت هو بداية العذاب والويل والمسكنة ، لأنهم يجدون فيما ورائه جزاء أعمالهم السيئة التي ارتكبوها هنا .. وكما قال الله :

« ان جهنم ، كانت مرصاداً ، للطاغين مآبا (ترصدهم ، تنتظرهم على أبواب الموت) .

« لابثين فيها أحقاباً (زمناً طويلاً) .

« لا يذوقون فيها برداً ولا شرابا ، إلا حميماً (الماء الساخن جداً الذي يشوي الحلق والبطن) وغساقا (الذي يسيل من اجساد المحروقين) .

« جزاءاً وفاقا .. »

اجل ـ انه جزاء عادل: ذلك لأنهم « كانوا يرجون حسابا» والذي يضيع الحساب يضيع المصير .

فهم من جانب كانوا لا يرجون حسابا ، وهم من جانب آخر « كذبوا بآياتنا كذاباً » .

لقد كذّبوا بالفكر حينما لم يحسبوا حساب الآخرة وكفروا بالله ، وكذّبوا بالجوارح حينما استعملوها في الظلم والطغيان ، وكذّبوا بالمال حينما اكتنزوه ولم ينفقوه في سبيل الله .

وطغوا .. وفرحوا .. ظانين ان كل شيء يجري في الظلام ، وان لا أحد يسجل عليهم الأعمال .. بينما كان الأمر كما قال الله :

« وكل شيء أحصيناه كتاباً »[1] ..

وعندما واجهوا اراشيف أعمالهم صرخوا - : « يا ويلنا ! ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها » .

« ووجدوا ما عملوا حاضراً »[2]

وجاءهم التقريع : « فذوقوا فلن نزيدكم الا عذاباً »[3]

★

هذا هو مصير الكافرين والمنافقين والفاسقين .

---

(١) سورة عم
(٢) سورة الكهف - ٤٩
(٣) سورة عم

فما هو مصير المتقين ؟

يقول الله تعالى ـ : « ان للمتقين مفازاً (فلهم منجاة خاصة بهم) .

حدائق وأعناباً ، وكواعب (فتيات ناهدات استدارت نهودهن) اترابا (متوافيات في السن) .

وكأساً دهاقاً (مترعة بالشراب) . لا يسمعون فيها لغواً ولا كذابا .

فلا جدل ولا تكذيب ، بل حقيقة مكشوفة . فهم اذن مسرورون ، منعمون ، يعيشون في سلام أبدي ، ولا يسمعون حتى اللغو والتكذيب .

ولماذا كل ذلك ؟

جزاءاً من ربك عطاءاً حسابا[1] »

انه .. جزاء ، جزاء العمل الذي قدموه . جزاء الأيمان بالله والعمل الطيب ، جزاء النضال من أجل الحق . جـــزاء

---

(١) سورة عم .

« فأما من أعطى واتقى ، وصدّق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى .

القضية هي قضية تقابل : إعطاء هنا وأخذ هناك . فاذا كان هنا التمانع ، فلن يكون هناك سوى التمانع :

« وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا تردى[1] ».

ان المال يمكن ان يفعل كل شيء في دنيا ـ المال ، ولكنه لن يغني شيئاً في دنيا ـ العمل .

ان الله عادل ، ومعنى ذلك انه لم يرسل الأنبياء ، ولم يبعث الرسالات عبثا ، وانما استهدف من وراء ذلك خير الانسان بشرط واحد هو ان يتقيد هذا الانسان بالخير . أما إذا طغى فان الله لن يتغاضى عنه ..

« فأما من طغى (وتجاوز حدود الحق والعدل) وآثر الحياة الدنيا (فعمل لها فقط) فان الجحيم هي المأوى .

---

(١) سورة الليل .

بينما « من خاف مقام ربه (فلم يقدم على معصيته) ونهى النفس عن الهوى (والانزلاق في المصالح الاثمة) فان الجنة هي المأوى [1]».

إن الدنيا محل متعة ولذة ، ولكنها على كل حال تنتهي في لحظة ما ، وهي آخر فرصة سانحة للانسان » ، عليه ان لا يترك لحظة واحدة تمر عليه الا بعد ان يحملها عملا طيبا ، أو كلمة طيبة أو موقفا طيبا .

فالآخرة « ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا» .

« انا انذرناكم عذابا قريبا (لأن الدنيا رحلة قصيرة إذا قيست بمنتهاها).

« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه،ويقول الكافر -: يا ليتني كنت ترابا [2]».

والناس « كأنهم يوم يرونها (الآخرة) لم يلبثوا الاعشية أو ضحاها ..

في يوم القيامة تنهار كل القيم الزائفة في الحياة ، فلا شفاعة

---

(١) سورة النازعات
(٢) سورة عم

شفيع ، ولا تزوير ولا نجاة .

« يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والامر يومئذ لله [1]

« يوم تُبلى (تختبر) السرائر (المحجوبات عن الناس) فماله من قوة ولا ناصر[2] » .

هذه هي الآخرة .. حقيقة تنتظر كل فرد ولا يمكن بأي شكل من الاشكال الفرار منها .

ولكن إذا كان الموت هو مصير كل انسان ، حتى ان اعتى الطغاة لا يستطيع أن يدفع من نفسه حشرجة الموت حتى للحظات .

وإذا كان عمل الانسان الطيب هو قارب النجاة في بحر الآخرة المتلاطم .. اليس من الافضل أن نحاسب أنفسنا كل يوم لنجد فيما إذا كنا فعلا مشغولين بصنع قارب النجاة أم لا . ؟

لقد قال الامام علي عليه السلام مرة : « ما أكثر العبر ، وأقل المعتبر » .. وصدق الامام.. فما أكثر ما نحمل على أكتافنا من الموتى ، وما أقل العبرة التي نمتصها من ذلك ..

---

(١) سورة الانفطار
(٢) سورة الطارق

يقول الامام « ع » :

« ايها الناس ..

« إن الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين .لا يعود
« ما قد ولى منه ،ولا يبقى سرمداً (ابدياً) ما فيه.
« آخر فعاله كأوله ، متشابهة أموره ، متظاهرة
« اعلامه ..

« فكأنكم بالساعة (الموت) تحدوكم حدو الزاجر
« بشؤبوبه .

« فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات ،
« وارتبك بالهلكات ، ومدت شياطينه في طغيانه ،
« وزينت له سوء أعماله . فالجنة غاية (مصير)
« السابقين (إلى العمل الطيب) والنار غاية المفرطين[1].

والغريب أنّ بعض الناس تحلو الدنيا في اعينهم إلى درجة انهم يكرهون مجرد التفكير في الموت ، ويسعون مهما أمكن إلى إبعاد شبحه عن انظارهم ، حتى إذا هبط عليهم ملك الموت امتلكهم ندم عظيم ولكن .. بعد فوات الأوان .

---

(١) نهج البلاغة - ج ١ ص ٢٧١

وإذا التمس احدهم العودة ثانياً ، وقال – : رب.. ارجعوني لعلي اعمل صالحاً فيما تركت ..

فانه سيتلقى بالطبع الجواب الصارم – : كلا .. انها كلمة هو قائلها ..

يا من بدنياه اشتغل ..
قد غره طول الأمل ..
الموت يأتي .. بغتة
والقبر صندوق العمل !

كم عدد الشباب الذين ما كانوا يفكرون بالموت.. وكانت كل حساباتهم ترتفع على أساس أبدية الحياة، ثم فجأة توقفت مضخات صدورهم وهي : قلوبهم ، وأصبحوا يُحملون على الاكتاف إلى القبور ، ويحاول اقرباؤهم التخلص منهم باسرع ما يمكن ..

تؤمل في الدنيا طويلاً ولا تدري
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر ؟
فكم من صحيح مات من غير علة
وكم من سقيم عاش دهراً الى دهر ؟
وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً

وقد نسجت اكفانه وهو لا يدري ؟

فلماذا نغفل عن الموت .؟

لماذا لا نعتبر بالذين سافروا قبلنا ، وأمام اعيننا ، وتركوا الدنيا وراءهم بينما راحوا يدفعون حسابات اعمالهم ،وما تركوه ، امام الله .؟

« كيف غفلتم عما ليس يغفلكم ؟

« و (كيف) طمعتم فيمن ليس يمهلكم ؟

« فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم .

« حملوا الى قبورهم غير راكبين ، وانزلوا فيها غير « نازلين .. (لم يحملوا الى قبورهم بطوع ارادتهم ولم « ينزلوا فيها بملء اختيارهم بل اجبروا على ذلك) . « فكأنهم لم يكونوا للدنيا عماراً ، وكأن الآخرة « لم تزل لهم دارا .. (نسيهم الجميع ، ولكن الأعمال « لم تنسهم) .

« اوحشوا ما كانوا يوطنون (هجروا المكان الذي « اتخذوه وطناً وهو الدنيـــا) واوطنوا ما كانوا « يوحشون .

« واشتغلوا (في الدنيا) بما فارقوا ، واضاعوا ما اليه انتقلوا .

« (وفي القبور لا حول لهم ولا طول)، لا عن قبيح
« يستطيعون انتقـــالا ، ولا في حسن يستطيعون
« ازديادا ..

« أنسوا بالدنيا فغرّتهم ، ووثقوا بها فصرعتهم .
« فسابقوا — رحمكم الله — إلى منازلكم التي أمرتم أن
« تعمروها ، والتي رغبتم فيها ، ودعيتم اليهـــا ،
« واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة
« لمعصيته ، فإن غداً من اليوم قريب ، مـــا أسرع
« الساعـات في اليوم ، وأسرع الأيام في الشهر ،
« وأسرع الشهور في السنة ، وأسرع السنين في
« العمر . »[1]

إن الدنيا كقطار سريع السير. يتجه بالانسان نحو ..الموت سواءاً أراد الانسان أم لا ..

ولكن المشكلة أن بعض الناس ينسون أنهم في قطار لأنهم ينشغلون بما في داخله من معالم الزينة وملاء الفتنة .

فما أكثر الذين لا يذكرون أنهم في القطـــار إلا حينما يتوقف بهم على الجانب الآخر من الموت ؟

---

(١) نهج البلاغة ج - ٢ ص - ١٢٨

ما أكثر الذين يبنون حساباتهم على بقـــاء الدنيا ، حتى إذا داهمهم الموت وهم في سكرة يمرحون تندّموا ، وبكوا ، على ما فرطوا في جنب الله. ولات ساعت مندم ؟

ما أكثر الذين تحدثوا لأنفسهم عما سيبنون، وعما سيأكلون، وعما سيشترون ، ولكن الموت خيّب آمالهم ، فدفنوا مع آمالهم المراض في قبر واحد .

ما أكثر الذين التصقت قلوبهم بالبنين والأموال فانتزعها الموت فجأة وبلا سابق انذار ؟

يقول الامام علي عليه السلام .

« أيها الناس ..

« إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع
« كل جرعة شرق ، وفي كل أكلة غصص ، لا تنالون
« منها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمّر معمّر منكم
« يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا تجدد له
« زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبلهـا من رزقه ، ولا
« يحيا له أثر إلا مات له أثر ، ولا يتجدد له جديد
« إلا بعد أن يخلق له جديد ، ولا تقوم له نابتة إلا
« وتسقط منه محصودة ..

« وقد مضت أصول (وهم الآباء) نحن فروعهـا ،

« فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله [1] ؟

أليس مات آباؤنا الذين انحدرنا من اصلابهم ؟ وإذا كان آباؤنا الذين جاؤوا إلى الدنيا قبل أن نأتي اليها قد ماتوا جميعاً فهل يمكن أن نبقى نحن أبديين ؟

إن الدنيا – ولا شك – مجرد ممرّ ينتهي بالانسان إلى مصيره وهو إما أن يكون « حفرة من حفر النيران » أو « روضة من رياض الجنة » .

« ايها الناس ..

« إنما الدنيا دار مجاز ، والآخرة دار قرار. فخذوا « من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم « أسراركم . وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل « أن تخرج ابدانكم ، ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم.
« إن المرء إذا هلك قال الناس – : ما ترك .؟
« وقالت الملائكة – : ما قدّم ؟

« لله آباؤكم فقدّموا بعضاً يكن لكم قرضاً ، ولا « تخلّفوا كلاً فيكون عليكم [2] .

ألم تر أنّ الدهرَ يوم وليلة

---

(١) نهج البلاغة ج – ١ ص ٢٥٠
(٢) نهج البلاغة ج – ٢ ص ١٨٣

يكرّان من سبتٍ جديد إلى سبتِ

فقل لجديد الثوب – : لا بد من بلى

وقل لاجتماع الشمل – : لا بد من شتِ

★

إن على الانسان – ما دام وجوده موقتاً – أن يحسب في كل خطوة من خطواته حساب الله ، فالدنيا منطقة حرة أوضح الله فيها طريق الهداية، وطريق الضياع، وترك حرية اختيار أي الطريقين للأنسان، فاليوم – عمل ولا حساب. وغداً حساب ولا عمل . فلا بد من حساب « يوم الحساب » من « يوم العمل » وإلا كان الخسران المبين .

على الانسان أن يضع كل إمكاناته في خدمة الله ، فلا يبخل بعمل ، أو بمال ، أو بزوجة أو بأولاد في سبيل الله ، لأن كل ما يملكه الانسان إنما هو أمانة عنده . أعطاه الله ليختبره هل يضحّي به في سبيله ، أو يعبده من دون الله ؟

رأى ..

كيف نعود إلى الحياة ..؟

« خلقتم للبقاء ، لا للفناء . !

بهذه البساطة يكشف لنا الرسول الأعظم عن مصير الانسان ولكن كيف يمكننا قبول هذه الحقيقة ؟

في الحقيقة ان كل انسان يجد في اعماق نفسه انه لم يخلق ليفنى ، بل ان مجرد تصور الفناء يبدو أمراً مستحيلاً .

فهل يمكنك مثلاً أن تتصور انك ستصبح لا شيئاً في يوم ما ؟ .

قد تستطيع أن تتصور لا شيئية جسمك ، ولكنك لا تستطيع أن تتصور لا شيئية نفسك وروحك . وهكذا دليل واضح على أنك لا تفنى .

صحيح أن الجسم يموت ، ولكن هذا لا يعني أن الروح أيضاً تموت . فالروح تبقى حية بعد الموت ، ولا يعتريها بالموت إلا تبدل المقاييس لديها .

ان الانسان مركب من روح وجسد .

والجسد هو مجموعة من الخلايا [1] التي تعمل ضمن « مصنع » وهي في تجدّد وموت مستمرين .

أما الروح فهي الآمرة الناهية لهذا « المصنع » فإذا قلت : انا فلا تقصد بالطبع جسدك ، وانما تقصد ذلك « الآمر الناهي » بدليل انك إذا قلت ـ : يدي فلا تقصد منها جزءاً من ذاتك وانما تقصد هذا الشيء الذي تملكه ، وتحركه ، وتعمل به ، فيدك ليست أنت . أنت شيء آخر وراء اليد . أنت هو « الأنا » الذي تقوله عشرات المرات في اليوم والليلة . وهذا « الأنا » لا يموت بموت الجسد . وانما يجد نفسه ضمن مقاييس أخرى تختلف عن مقاييس الجسد الفعلية . تماماً كما ان هذا « الأنا » لا يتغير بتغير الخلايا ، ولا يموت بموتها . بدليل أن الخلايا تبدل نفسها بنفسها باستمرار فكل سبع سنوات تتبدل كل خلايا الجسم بحيث لا تبقى اية خلية أكثر من هذه المدة ، وهذا يعني أن الذي عمره ٢١ ـ عاماً قد مات جسمه ثلاث مرات . ومع هذا فإن « الأنا » فيه لا يتغير فهو هو من دون أن يجد أي تغيير جذري في ذاته .

---

(١) عبارة عن الذرات الصغيرة الحية التي يتألف منها الجسم ، ويمكننا تشبيه هذه الذرات بالطابوق الذي يؤلف البيت مع فارق أن الطابوق ميت ، بينما الخلية حية ، فكل قطعة من جسمك يتشكل من ملايين الخلايا الحية التي إذا ماتت تخرج من الجسم في صورة « أوساخ » .

ولو كان الانسان يموت بموت الجسد ، لكان من اللازم أن يتغير الذي عمره ٢١ ـ عاماً ثلاث مرات . مع اننا لا نجد أنه قد تغير منذ الطفولة ، فصفاته تبقى على حالها تقريباً .

★

في كل لحظة يمكن أن يجد الانسان « القيامة » التي اخبرنا الله عنها ففي النبات والشجر والتراب ، يجد الانسان أن التراب يتحول إلى نبات ، وعندما يموت النبات يتحول إلى تراب .

فالتراب يتحول رغم ارادته إلى جسد شجر ، مع أنه هو هو ، فعناصره الأولية تبقى على حالتها الأولى . ولكنها تختلف من ناحية المقاييس التي تكتنفها .

وهكذا الانسان .. انه سيعود إلى الحياة بنفسه ، ودون أن يتغير ، ولكن ضمن مقاييس أخرى تختلف عن المقاييس المعاصرة .

وكما أن التراب لو كان له عقل وفكر ، وكان يقال له انك تتحول إلى حياة أخرى ، تختلف من ناحية المقاييس مع حالتك الحاضرة ، لم يكن يقبل الفكرة بسهولة بالرغم من أنها حقيقة قائمة . كذلك الانسان فإنه قد لا يقبل الحياة بعد الموت نظراً لضيق أفق تفكيره وضحالة مقاييس حياته .

وأيضاً ..

فان الانسان يجد دليل الآخرة في ماضيه الذي خلفه ورائه عندما كان جنينا .. فإنه لو كان يقال له ـ : انك ستتحول إلى إنسان كامل عندما تخرج من الرحم ، وتعيش ضمن مقاييس أخرى ، قد كان يجد بعض الصعوبة في قبوله ، كذلك فإنه يجد بعض الصعوبة في قبول حقيقة الآخرة بينما هي حقيقة لا تقبل الانكار .

يقول الله تعالى :

« يُخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي ، ويحيي « الأرض بعد موتها ، وكذلك تُخرجون .

« ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم إذا انتم بشر « تنتشرون »[1] .

« ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فإذا انزلنا « عليها الماء اهتزت وربت ، ان الذي احياها لمحي الموتى ، « انه على كل شيء قدير »[2] .

إن الموت عبارة عن الخروج من مقاييس ، والدخول تحت مقاييس

---

(١) سورة الروم ١٩ ـ ٢٠

(٢) سورة فصلت ـ ٣٩

أخرى ، تماماً كما ان نمو النبات يعني ذلك.. وتماماً كما ان الولادة هي مثل ذلك .

ونستطيع أن نعبر عن الموت بالولادة تحت شرائط معينة.. وفي ظروف معينة .

*

أما الذين ينكرون البعث لمجرد أن « عقولهم » (!) لا تدرك كيف يمكن لميت أن يتحول إلى حي ، فانهم ينسون ابسط الحقائق وهو : انهم احياء بينما كانوا لفترة طويلة لا شيئا ، وان الذي خلقهم من اللاشيء قادر بلا شك على اعادتهم إلى الحياة بعد الموت .

أليس الذي يصنع من القطع الحديدية العادية سيارة كاملة قادراً على أعادتها مرة ثانية بعد تلاشي اجزائها ؟

يقول الله تعالى :

« وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده ، وهو (أن « يعيده) أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السماوات « والأرض ، وهو العزيز الحكيم [1] .

---

(١) سورة الروم - ٢٧

ويقول :

« وضرب لنا مثلا ونسي خلقه !

« قال – : من يحيي العظام وهي رميم ؟

« قل – : يحييها الذي انشأها أول مرة، وهو بكل خلق عليم [1] .

ترى .. انت الذي لم تكن في وقت ما شيئاً ، لا ترابا ولا عظاما ولا أي شيء آخر ، فخلقك الله ألا يمكن أن يعيدك الله مرة ثانية إلى الحياة بعد الموت ؟

« فسيقولون – : من يعيدنا . ؟

« قل – الذى فطركم أول مرة [2].

وإذا كان البعض لا يقتنع بذلك فإن الله يقدم له أكبر الأدلة وذلك حينما يعرض امثال هؤلاء على جهنم قائلا لهم – : هذا الذي كنتم به تكذبون .؟

.. « وقالوا –: إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين.

---

(١) سورة المطففين – ١٧ (١) سورة يس يا سين

(٢) سورة الإسراء – ١٥

ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال (ربهم) – : أليس هذا بالحق .؟

قالوا : بلى وربنا !

قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون [1] ».

★

ترى هل يجب علينا أن نرى الآخرة حتى نؤمن بها . ؟

لقد أخبرنا الله عنها، ولا نجد أية ضرورة لأدلة أخرى ولكن لا بد أن نعرف : ان الذي يبني حساباته على وجود الآخرة، ان يكون حتماً إلا رابحاً ، إذ لو افترضنا أن الآخـــرة « فكرة خرافية » فإن المؤمن بها لن يخسر شيئاً من الحياة ، لأنه يعيش، على أقل التقادير ، حياة عادية تخلو من الجريمة والعصيان ، وتتوفر فيها ما تتوفر في أية حياة عادية مماثلة .

ولكن الكافر لا بد أن يكون خاسراً ، لأن مجـرد وجود احتمال صدق القضية ولو بنسبة ١٪ يعني أنه لو مات الكافر ووجد أن الآخرة حقيقة وليست خرافـــة فلن تكون لديه أية فرصة لإنقاذ ما ضيّعه ، وتكون عاقبته إذ ذاك النار الأبدية ..

---

(١) سورة الانعام ـ ٢٩

وهناك – «الذين آمنوا من الكفار يضحكون. على الارائك ينظرون : هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون[1]»؟

الحق أقول لكم : ان الذين يكفرون بالآخرة مخطئون، لأنهم في هذا الأمر يفكرون بعواطفهم التي تقول لهم – : عيشوا في الأرض فساداً . ولا يفكرون بعقولهم التي تصرخ في وجودهم : قفوا عند حدكم ، هناك حساب وجزاء .

إن الكافر بالآخرة لا يجد في الواقع أي مبرر لكفره إلا إرادة الاستمرار في الطغيان والشهوات والملاذ غير المشروعة.

يقول الله تعالى :

«.. ويل يومئذ للمكذبين ، الذين يكذبون بيوم الدين، وما يكذّب به إلا كل معتدٍ أثيم . إذا تتلى عليه آياتنـــا قال – : أساطير الأولين !

كلا .. بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون[2]»

استعبدتهم المادة فقطعت على عقولهم الطريق ، ولهذا فلم يعودوا يفكرون في أنفسهم ألم يكونوا معدومين حيناً من الدهر؟

من خلقهم ؟

هل يمكن أن يتركهم الله هملاً يفعلون ما يريدون بلاحساب ولا جزاء ؟

---

(١) سورة المطففين ٣٤ – ٣٦

(٢) سورة المطففين ١٠ – ١٤

هل يمكن أن يعجز الذي خلقهم من العدم واللاشيء أن يعيدهم إلى الحياة ؟

« أيحسب الانسان أن يترك سدى ؟

« ألم يك نطفة من منيّ يمنى ؟

« ثم كان علقة فخلق فسوى؟

فجعل منها الزوجين الذكر والانثى ؟ اليس « صانع » ذلك بقادر على ان يحيي الموتى [1] ؟

الا يكفي كل ما سبق من حياة الانسان ابتداءاً من كونه منياً ، وانتهاءاً به وهو انسان سوي ، يفكر وينتج ويعيش ، الا يكفي كل ذلك دليـــلا على قدرة الله على اعادته إلى الحياة بعد الموت ؟

« فلينظر الانسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق يخـــرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر [2] ».

اجل .. فتشوا عن كل الذين يكفرون بالآخرة لتجدوا أن هؤلاء لا يكفرون بها إلا لأنهم لا يرتاحون لها ، تماماً مثل الذي لا يؤمن بوجود قانون العقوبات لمجرد انه لا يرتاح اليه ..

---

(١) سورة القيامة ٣٦ ـ ٤٠

(٢) سورة الطارق ٥ ـ ٨

« بل يريد الأنسان ليفجر أمامه.

« (ولهـــذا فانه) يسأل (في استبعاد) ـ : ايان يوم «القيامة ؟ [1].

« فاذا ما وقع الذي استهزء به « يقول الانسان يومئذ ـ :
« أين المفر . ؟

« كلا .. لاوزر . إلى ربك يومئذ المستقر ، ينبؤ الانسان « يومئذ بما قدم وأخر[2].

★

أتريدون دليلا آخر على الحياة بعد الموت ؟

استمعوا إلى كلام النبي « ص » :

« كما تنامون تموتون . وكما تستيقظون تبعثون !

السنا ننام كل ليلة . ؟ هكذا سنموت .

ثم السنا نستيقظ كل صباح ؟ هكذا سنعود إلى الحياة .

★

---

(١) سورة القيامة ٣ ـ ٤

(٢) سورة القيامة ١٠ ـ ١٣ .

لقد مات حتى الآن كل من أتى إلى الحياة، وكالجسم الواحد الذي يبدّل خلاياه ، تبدل الأرض الاجيال . فيموت جيل ويأتي جيل آخر .

وهذه قوافل الموتى تمر أمام الانسان كل صباح ومساء .

وهذه أرواح الموتى تخبرنا عما هنالك .. بعد الموت .

١

لقد قيل لاحدى الأرواح – : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟

فأجابت – : نعم بكل تأكيد ، فالعذاب عذاب ، والنعيم نعيم ، كما وصف لنا الأنبياء .

قالوا لها – : وكيف هو العذاب ؟ وكيف هو النعيم ؟

فاجابت – : لا استطيع ان اشرح لكم ذلك ، يكفي ان تعرفوا ان العذاب موجود ، وان النعيم أيضاً موجود .

٢

وقيل لروح اخرى – : هل هناك أرواح عادت منكم إلى الحياة ؟

فأجابت ـ : كلا. الروح التي تأتي لا تعود ، وهناك عشرات الألوف من الأرواح التي تعيش عندنا منذ ألوف السنوات ولا تزال هنا لم تغادرنا ..

٣

وقيل لثالثة ـ : ماذا تجدون من فواكه ؟

فأجابت كل الأنواع .

فقيل لها ـ : مثلاً .؟

اجابت ـ : في الحقيقة فواكهنا تختلف عن فواكهكم ، كما أن الأشجار تختلف عن أشجاركم ، ولا تستطيعون أنتم أن تفهموا ذلك إلا إذا متم .

٤

وقيل لرابعة ـ : هل يعذب الانسان بعد الموت مباشرة فيما إذا كان مستحقاً لذلك ؟

اجابت ـ : نعم .

قيل لها ـ : فلماذا لا نحس بعذابه ؟

أجابت ـ : مقاييسكم تختلف ، هذا هو السبب . تماماً كما انكم تحسون بالعذاب الذي يتحمله النائم عندما يرى منامـاً مزعجاً ، ولكن الفرق : ان العذاب هنا حقيقة وليس حلماً .

وقيل لها ـ : ماذا وجدتم بعد الموت ؟

أجابت ـ : وجدنا أننا كنا غافلين عن ... الحقيقة [1] .

---

(١) للمزيد من التفاصيل راجع كتاب : « على حافة العالم الاثيري » .

زاى ..

وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ..!

أعمال الإنسان – كما تثبت التجارب البشرية حتى الآن – تحفظ وتسجل بصورة دائمة وبغير توقف .

فكل كلمة يلفظها الإنسان وكل حركة تصدر عنه ، وحتى كل خاطرة تمر في ذهنه يسجل في الأثير (الفضاء) ويمكن عرضه في أي وقت من الأوقات بكل تفاصيلها ، بحيث يمكن إذا كنا نملك الوسائل الخاصة أن نعرف كل ما قاله ، أو فعله أو نواه أي فرد في أي مكان وأي زمان ..

يقول الله تعالى : « إن بعض الظن اثم » ..

تعرف لماذا ؟

لأن الظن عملية تقوم بها النفس البشرية ، وهي لذلك لا تنمحي.

فالأفكار تخطر على بالنا ، وسرعان ما ننساها ، ويبدو لنا أنها انتهت ، ولم يعد لها أي أثر ، ولكننا بعد مرور فترة طويلة نراها رؤيا خلال النوم ، أو نتكلم عنها في حالات الهستيريا أو الجنون دون أن ندري شيئا مما نقول ، وهذه الوقائع تثبت بشكل قاطع

ان العقل والحافظة ليست تلك التي نشعر ونحس بها فحسب ، وانما هناك اطراف أخرى من هذه الحافظة لا نشعر بها ، وهي ذات وجود مستقل وذات كيان قائم بنفسه .

ولقد أثبتت التجارب العلمية ان جميع أفكارنا تحفظ في شكلها الكامل ، ولسنا قادرين على محوها أبداً ، وأثبتت هذه التجارب أيضاً ان الشخصية الانسانية لا تنحصر فيما نسميه « الشعور » بل هناك أجزاء أخرى من الشخصية الانسانية تبقى وراء الشعور ، وهذه الأجزاء تشكل جانباً كبيراً من شخصيتنا ، بل هي الجانب الأكبر منها ، ومثلها كمثل جبل الجليد في أعالي البحار ، أجزائه الثانية مستكنة تحت الماء ، على حين لا يطفو منه إلا الجزء التاسع ، وتلك هي ما نسميه « الشعور » الذي يسجل ويحفظ كل ما نفكر فيه ، أو ننويه .

ان مضي الزمن لا يحدث أي تغيير في العمل الذهني فحتى التأملات الخيالية التي تدفن في اللا شعور ، تبقى أزلية في الحقيقة والواقع ، لانها تبقى محفوظة لعشرات السنين وكأنها لم تحدث الا بالأمس .

وذلك لان كل ما يخطر على بال الانسان من الخير أو الشر . ينقش في صفحة اللا شعور ، فلا يزول إلى الأبد ولا يؤثر فيه تغير الزمان ، وتقلب الحدثان ، ويحدث هذا سواء أراد ذلك الانسان أم لا ..

ان هذا الواقع يؤكد ، امكان وجود سجل كامل لأعمال الأنسان لدى الله . « لقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ».

اذن .. فنية الانسان لا تتلاشى كما نتصور ، وانما تبقى رغم ارادته ، لتكون شاهدة صدق له ، أو عليه في الآخرة .

*

والكلام أيضاً يسجل . !

فعندما يحرك واحدنا لسانه ، فانما في الواقع يحرك موجات الهواء ، تماماً كما يحرك الحجر الذي نرميه في الماء موجات الماء.

وهذه الموجات تصطدم «في الظروف العادية» بطبلة الأذن، التي تقوم آلياً بارسال هذه الموجات إلى العقل . فما نفهمه من المعنى يسمى « سماعا » .

ولقد ثبت قطعيا ان هذه الموجات تبقى كما هي في طيات الأثير ، وانها لا تزول حتى الأبد بعد حدوثها للمرة الأولى ، ومن الممكن سماعها مرة أخرى ، ولكن العلم الحديث عاجز حتى الآن عن اعادة هذه الأصوات ، أو بعبارة أصح : إن العلم الحديث عاجز عن ضبط هذه الموجات مرة أخرى ، مع انها

تبقى تتحرك في الفضاء إلى زمن غير قصير ، ولم يبد العلماء اهتماما خاصا بهذا المجال ، بعد أن سلموا نظريا بامكان ايجاد آلة لالتقاط اصوات الأزمنة الغابرة ، كما يلتقط المذياع الأصوات التي تذيعها محطات الإرسال والمشكلة الكبرى تواجهنا في ذلك هي مشكلة التمييز بين الأصوات الكثيرة – الهائلة الكثرة – حتى يمكن سماع كل صوت على حدة .

والعلم لم ينجح في اختراع آلة تفرق بين أصوات الزمن القديم ولولا ذلك لكنا نسمع اليوم تاريخ كل عصر وزمان بأصواته ، ولو نجح في هذه الآلة المطلوبة – كما هو المتوقع – فسيكون باستطاعتنا سماع كلمات ابراهيم عليه السلام ، وخطب الرسول الأعظم ، ونصائح الامام علي (ع) ووقائع الطف بأصواتها الحقيقية ..

وهذا يثبت بالطبع أن كل كلمة يلفظها الانسان فإنهـــا في الواقع تسجل على صفحات الأثير .

غير أن ذلك لا يعني أن الكلمات والنيات تسجل على صفحات الأثير وحسب ، وإنما يعني أن الذي اكتشفناه حتى الآن هو ان ذلك يسجل على هذه الصورة ، ولعل هناك كيفيات أخرى تسجل بها النيات والكلمات ، ولكن لم يصل إليها علمنا بعد . وقد أخبرنا الله تعالى : «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» .

والعمل أيضاً .. لا يموت !

ويؤكد العلم الحديث بأن جميع أعمالنا ـ من دون فرق بين ما نباشره في الضوء أو ما نباشره في الظلام ـ تبقى في الفضاء على شكل صور ولكنها صور خاصة بمقاييس خاصة ، ومن الممكن في أية لحظة تجميع هذه الصور حتى نعرف كل ما فعله الانسان من اعمال الخير والشر طيلة حياته ،فقد أثبتت البحوث العلمية ان كل شيء ـ سواءاً حدث في الظلام أم في النور ـ تصدر عنه موجات حرارية بشكل دائم ، وهـذه الموجات الحرارية تعكس الأشكال والصور وأبعادها تماماً مثل الأصوات التي تكون صورة كاملة للموجات الهوائية التي يحركها اللسان .

وقد تم حتى الآن اختراع آلات دقيقـة لتصوير الموجات الحرارية التي تخرج عن أي كائن وبالتالي تعطي هذه الآلة صورة فوتوغرافية كاملة للكائن حينما خرجت منه الموجات الحرارية . فاللص الذي يسرق في الظلام ، يمكن تصويره متلبساً بالجريمة بعد حادث السرقة ، غير أن الآلات التي تم اختراعها حتى الآن لا تستطيع تصوير الموجات الحرارية إلا بعد صدورها بساعات قليلة من وقوع الحادث ، أما الموجات القديمة فلا تستطيع هذه الآلة تصويرها ـ لضعفها .

وهذا يعني أن أي عمل يقدم عليه الانسان فإنه يسجل على « شاشة الكون » ولا يستطيع الانسان ـ لذلك ـ الهروب

من آثاره ، أو انكاره .

وهكذا يكون كما قال الله ـ « ووجدوا ما عملوا حاضراً » يوم القيامة ..

هل يعذب الله المخترعين ؟

وهنا لا بد من الاجابة على السؤال الذي كثيراً ما يطرح لدى البحث عن الآخرة والذي يقول ـ : إذا كان الله سيعذب الكافرين به ، والملحدين عن منهاجه ، فهل يعني ذلك أنه سيعذب المخترعين والمكتشفين الذين خدموا الانسان خدمات كبيرة ؟ وعلى سبيل المثال : هل ان شخصاً كأديسون مخترع الألف والخمسمائة اختراع سيدخل النار لأنه لم يؤمن بالله ، بينما يتربع عامل بسيط على أرائك الجنة ، لمجرد أنه كان يؤمن بالله ؟

والجواب ـ :

أولاً ـ لا بدّ أن نعلم أن أهمية الأشياء انما تأتي من حيث مقدار خدمتها لله . فليست هناك أية قيمة ذاتية للاشياء إذا لم تكن موضوعة في خدمة الله .

فالقنبلة الذرية التي قد تسوى في نظر البعض الآن الملايين من الدولارات مثلاً ـ لا تسوى في الواقع شيئاً لأنها لا تخدم طريق الله ، وانما تخدم طريق المصالح الشخصية .

وهنا لا بد من التساؤل : ترى هل يمكن تصور أية قيمة للشيء اذا لم تكن له أية فائدة للإنسان في داره الحقيقي وهو الآخرة ؟

ان الإنسان مخلوق لعالم آخر هو عالم الآخرة ، واشياء هذه

الدنيا انما تكسب قيمتها الحقيقية من وراء ما تنفع هناك، وليس من وراء ما تنفع هنا . تماما كما أن العمـــل الذي قد يقوم به الإنسان في السفر لا يكون ذا قيمة لو لم ينفع عند الانتهاء من السفر . فأي قيمة يمكن أن نتصورها مثلا ، لحجر ثقيل يحمله الإنسان في اسفاره من دون أن ينتفع به عندما يحط الرحال ؟

ثانيا ـ أن قيمة أي عمل يقوم به الفرد، تكون بحجم القصد الذي حركه اليه ، فاذا كان القصد منه طيبا فان العمل يكون بالطبع طيبا ، بينما لو كان القصد خبيثا فان العمل ـ وان بدى في الوهلة الأولى طيبا للبعض ـ لا يكون الا خبيثا .

فالذي يمد اليك يده اليمنى مصافحا ، لو كان يقصد من عمله هذا أن يسرق بيده اليسرى من جيبك، لا يستحق سوى صفعة جيدة من الطراز الرفيع ، بينما الذي يصفعك خطأ وهو يريد أن يمد اليك يده لمصافحتك في الزحام ، يستحق كل تقدير واحترام .

اذن فالعمل ، لو لم يكن «لله» أي «باخلاص» فلن تكون له أية قيمة . فلو فرضنـــا أن اديسون مخترع الالف والخمسمائة اختراع كان يخترع ويكتشف لمصالحه الخاصة بحيث لو لم تخدم اختراعاته تلك المصالح لما أقدم عليها فهل يمكننا أن نتصور له أي اجر على الله ؟ والمفروض انه لم يعمل له أي شيء ؟

ثالثا ـ إن عمل أي انسان هو الذي يكتنفه يوم القيامة أي إن الذي يقدم له يوم القيامة ليس شيئا « فوق العمل » وانما هو

العمل نفسه فان الجريمة ذاتها هي التي تلتف حوله يوم القيامة ، فهو الذي يجازي نفسه عن طريق اعماله .

وإذا كان أمثال أديسون هم الذين اختاروا لانفسهم المصير السيء فهل يمكن أن تحمل الله مسؤلية ذلك ؟

إذا كان أمثال هؤلاء هم الذين يطلقون النار على أنفسهم فهل يجوز لنا أن نعاقب الله لان الرصاصات التي تخـــرج من فوهة « المسدس» تمزق جدران صدورهم؟

ان الله يضع مسلك الحق ، ويسلط عليه الأضواء ، فإذا لم يسلكه البعض بملء ارادتهم فانهم هم الذين سيخسرون أنفسهم ولا ربط لذلك بمكانتهم او نبوغهم الفكري .

رابعاً ـ ان الذي لا يمكن الترديد فيه هو ان للكون إلهاً خالقاً لا بد ـ بحكم سلطته وحقه الطبيعي على الانسان ـ ان يطاع من قبل الجميع ، وإذا ما تخلف واحد منهم عن ذلك فان لله الحق ـ كل الحق ـ ان ينزل عليه العقاب العادل ، ولا يفرق في ذلك ما إذا كان هذا « الواحد » صاحب اختراع أو صاحب اكتشاف أو مجرد عنها .

ان الناس سواسية أمام الله ، واقربهم اليه اتقاهم ، هذه هي الحقيقة وعلى أساسها تقوم القيامة ، ويجازى الناس .

انتهى

هادي محمد كاظم المدرّسي

في ١٣٩١/٨/٨ هـ

فهرس

الموضوع	صفحة
الف : أين كنا قبل ذلك ؟	٥
باء : هل من إله ؟	١٧
تاء : آلهة .. واحد ؟	٤٩
ثاء : صفات .. الله .	٥٧
جيم : العبادة ماذا تعني ؟	٦٧
حاء : الرسل والرسالات	١٠١
خاء : الأئمة قيادة السماء للأرض	١٥١
دال : ائمة آل البيت	١٧٧
ذال : العالم الذى ينتظرنا	٢٢٩
راء : كيف تعود إلى الحياة	٢٤٩
زاء : ووجدوا ما عملوا حاضراً	٢٦٣